محمد أحميمد

الفكر الأشعري المغربي

بين كتابي "الإبانة" و"اللمع"





الفكر الأشعري المغربي
بين كتابي "الإبانة" و"اللمع"

محمد أحميمد



دار "إي-كتب"، لندن، أغسطس - آب 2018

The Moroccan Ash'ari thought between the books "Al-Ebana" and "Al-Lumaa"
By: **Mohammed Hmimed**

Published by e-Kutub Ltd
Distribution: Amazon (**Paperback**). Kindle, Google Books, Play Store (**Electronic**) & e-Kutub (**Hardback**)
ISBN: 978-1-78058-395-2
First Edition
London, Aug. 2018

** * **

الطبعة الأولى،
لندن، آب – أغسطس 2018
الفكر الأشعري المغربي بين كتابي "الإبانة" و"اللمع"
المؤلف: **محمد أحميمد**
الناشر: e-Kutub Ltd، شركة بريطانية مسجلة في انجلترا برقم: 7513024

الموزعون الحصريون: **أمازون** (للنسخة الورقية)، **كيندل وغوغل بوكس وبلاي-ستور** (للنسخة الإلكترونية) و **"إي-كتب"** (للنسخة الفاخرة).

يمكنك الكتابة الى المؤلف على العنوان التالي:
mohammedhmimed10@gmail.com

الفهرس

مقدمة:

يعرف المغرب في السنوات الآخيرة مشروع ما يُعرف بإصلاح الحقل الديني، على مستوى المناهج والمؤسسات، وقد ركزوا في هذا الإصلاح على تثبيت العقيدة الأشعرية والفقه المالكي وتصوف الجنيد، وأسموها بالثوابت الدينية المغربية، وقد أنشئ لهذا الغرض -من قبل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- مؤسسات دينية تشرف على هذا المشروع، وخصصت ميزانيات كبيرة للأبحاث والدراسات العلمية الدينية، وتحقيق التراث الديني المغربي، وأوكِلت هذه الأبحاث والدراسات إلى مراكز متخصصة ومتعددة حسب كل تخصص من التخصصات العلمية المراد البحث فيها، ومن هذه التخصصات العلمية العقيدة الأشعرية التي تم إخضاعها لمركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوث العقدية التابع للرابطة المحمدية للعلماء، الموجود مقره بمدينة تطوان، والذي يهتم بالعقيدة الأشعرية والبحث في تراثها، وتحقيق مخطوطات ونصوص في العقيدة الأشعرية لعلماء المغرب، والقيام بدراسات حول علم الكلام المغربي.

وفي الوقت الذي أثبتوا العقيدة الأشعرية؛ اختاروا أن تكون على منهج "كتاب الإبانة" لأبي الحسن الأشعري، وقد رأيت في كتابي هذا أن أتحدث عن الفكر العقدي الأشعري بالمغرب؛ لطبيعة الموضوع في السياق الفكري العام، الذي تم فيه التركيز على فكر "كتاب الإبانة" لأبي الحسن الأشعري، وأبين مدى خطورة هذا الكتاب على المجتمع المغربي.

وسوف أبين كذلك من خلال كتابي هذا حقيقة الفكر الأشعري المغربي منذ دخول العقيدة الأشعرية إلى المغرب حتى اليوم، والمنهج الذي سار عليه المغاربة في تلقين العقيدة الأشعرية وتدريسها، ومدى صحة نسبة "كتاب الإبانة" إلى أبي الحسن الأشعري، وإذا كانت نسبة الكتاب صحيحة إليه؛ فهل هو آخر ما ألف الأشعري، أم أنه كتاب "اللمع"، وما موقع هذا الأخير من الفكر الأشعري المغربي.

كما سأتناول بالنقد العلمي فكر "كتاب الإبانة"، الذي قد يكون مرجعا للمتطرفين في المستقبل، مما قد يحدث خطورة على المجتمع المغربي، هذا الكتاب الذي يمثل حالة شاذة في الفكر الأشعري المغربي منذ القدم، ويأتي هذا العمل (الفكر الأشعري المغربي بين كتابي "الإبانة" و"اللمع") كتنبيه للمغاربة - مسؤولين ومواطنين- على مدى خطورة تبني فكر "كتاب الإبانة" لأبي الحسن الأشعري، خاصة مع قيام بعض المؤسسات والمراكز العلمية بتبني فكر هذا الكتاب وتصديره للمغاربة على أنه المرجع في الاعتقاد المغربي، وهو ما يمثل انحرافا فكريا وعقديا، والسير في وجهة غير صحيحة، قد تؤدي إلى الانحراف العقدي والسلوكي للمغاربة إذا ما اعتقدوا بهذا الفكر، وطبقوه في حياتهم العلمية والعملية.

تطوان: 29 ذو القعدة 1439هـ

الموافق: 11 غشت 2018م

تمهيد

نلاحظ في هذه الحركة الفكرية الأشعرية في المغرب تبنيها فكر "كتاب الإبانة" ذي التوجه الحنبلي، المنسوب إلى أبي الحسن الأشعري، وهو كتاب ينطوي على فكر غال ومتطرف، هذا الفكر الذي تخلص منه أبو الحسن الأشعري نفسه في آخر كتبه التي صنفها وخاصة "كتاب اللمع"، و"سيعلن انفصاله كذلك عن ذلك التوجه الحنبلي المفرط في التشبيه والموغل في رفض النظر، وذلك في رسالته المتعلقة "باستحسان الخوض في علم الكلام""،[1] وهذا الفكر الأشعري الأخير المضَمَّن في "كتاب اللمع"؛ هو الذي انتهجه تلاميذ وأتباع أبي الحسن الأشعري من بعده وقاموا بتطويره، وهو الفكر الذي دخل إلى المغرب وتبناه المغاربة وتعبدوا به، وكتبهم المصنفة في العقيدة شاهدة على ذلك، لكن المسؤولين عن البحث العقدي في هذا المركز (أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوث العقدية) التابع للرابطة المحمدية للعلماء، يريدون إعادة المغاربة إلى فكر "كتاب الإبانة" المفرط في التطرف، والموغل في الانغلاق، الذي لا يصلح للمجتمع المغربي ولا لغيره من المجتمعات الإسلامية؛ لما يحمله من تجسيم وتكفير ودعوة إلى سفك الدماء.

لقد أبانوا أكثر عن هذا التوجه بإصدارهم "مجلة الإبانة"، وهي مجلة علمية سنوية تعنى بالدراسات العقدية والأبحاث الكلامية الأشعرية، وهي دعوة صريحة إلى تبني فكر "كتاب الإبانة" من قِبَل المسؤولين عن هذا المركز؛ اتباعا لرأي السلفية في أبي

---

[1] عبد المجيد الصغير، مجلة الإبانة، العدد الأول، رجب 1434ه/يونيو 2013م.

الحسن الأشعري، عندما "يقولون إن الأشعري قد وصل إلى الحق على مراتب؛ فترك أولا مذهب المعتزلة إلى مذهبه العقلي فأصاب نصف الحق، ثم ترك أخيرا مذهبه العقلي إلى مذهب السلف فأصاب الحق كله ومات مرضيا عنه"،[1] وهم يقصدون بالحق الذي أصابه الأشعري هو الفكر الحنبلي الذي قرره في "كتاب الإبانة"، ورئيس مركز أبي الحسن الأشعري نفسه يقرر هذا الاتجاه؛ إذ يقول: "أن الأشعري...مال بصورة واضحة إلى الاتجاه السلفي في العقيدة، وأعلن انتماءه إلى مدرسة ابن حنبل واختار أن يموت على مذهبه، بدليل ما أعلنه في كتبه الأخيرة ككتاب "الإبانة""،[2] وهذا كلام بيِّن من رئيس المركز المخول له البحث في العقيدة الأشعرية والإشراف على تحقيق تراثها؛ في أن المركز يتبنى فكر "كتاب الإبانة"؛ وأنه فكر حنبلي، ويقول بأن "المؤسس الحقيقي للاتجاه الأشعري –ذي الخواص المعروفة والتوجه العقلي المشهور والمنهجية التأليفية الخاصة- فهو أبو بكر الباقلاني"،[3] و"أن الفكر الأشعري لم يعرف التطور المنهجي الحاسم والنوعي إلا على يد أبي المعالي الجويني"،[4] فهو هنا ينسف المذهب الأشعري نسفا بإحداث القطيعة بين أبي الحسن الأشعري وتلاميذه من بعده من جهة الأخذ والتلقي ومن جهة المنهج؛ عندما يقرر هذا الكلام، وليس الأمر كذلك، إذ أن الحلقات متصلة بين الأشعري وأتباعه من بعده من جهة الأخذ والتلقي ومن جهة المنهج أيضا، وهي تشكل نسقية واحدة، حيث "إن حلقات المذهب الأشعري متصلة من لدن أبي الحسن الأشعري (324ه) حتى الجويني (478ه)؛ فإن

---

[1] مقدمة المحقق حمودة غرابة، كتاب اللمع لأبي الحسن الأشعري، مطبعة مصير، س ط:1955، ص: 7.

[2] عثمان السلالجي ومذهبيته الأشعرية: جمال علال البختي، ص:8.

[3] المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

[4] المصدر نفسه، ص:9.

أبا الحسن أخذ عنه طريقتَه الجيلُ الأول من تلاميذه؛ وأهمهم: أبو الحسن الطبري (380ه)، وأبو الحسن الباهلي، وأبو عبد الله ابن مجاهد البصري، وتبعهم طبقة ثانية، أهم رجالاتها أبو بكر الباقلاني (403ه)، وابن فورك (406ه)، وأبو إسحاق الإسفراييني (418ه)...ثم اتصلت بعد ذلك حلقات المذهب الأشعري بعد هؤلاء الثلاثة الأقطاب؛ فجاء في الطبقة التالية لهم أعلام كبار هم أئمة المذهب في طبقته الرابعة؛ كأبي منصور البغدادي (429ه)، الآخذ عن الإسفراييني، والقشيري (465ه)، الآخذ عن ابن فورك والإسفراييني، والبيهقي (458ه)، الآخذ عن ابن فورك، وكان خاتمة هذه الطبقة إمام الحرمين أبو المعالي الجويني الآخذ عن أبي إسحاق الإسفراييني، وعن الجويني تفرع في المذهب الأشعري فرعان: أحدهما طريق أبي حامد الغزالي (505ه)، ومن بعده القاضي أبو بكر ابن العربي (543ه). والثاني طريق أبي القاسم الأنصاري، وعنه أخذ ضياء الدين الرازي والد الفخر وأبو الفتح الشهرستاني (548ه)، وعن الضياء الرازي أخذ ولده الفخر الرازي أبو عبد الله ابن الخطيب (606ه)".[1]

و"القارئ سوف يلمس أيضا بطلان الادعاء بوجود هوة سحيقة بين مذهب الأشعري ومذهب الأشاعرة، وسوف يجد أن الخلاف بينه وبين أتباعه لم يمس أية مسألة جوهرية في المذهب نفسه على حساب ما قرره وصوره، وإنما هو خلاف في طريقة الاستدلال، أو في تفسير بعض الأصول أو زيادة في الشرح، أو الاشتغال بمسائل لم تعرض للأشعري في أيام حياته"،[2] والإشكال الحاصل

---

[1] الغنية في الكلام، أبو القاسم سلمان بن ناصر الأنصاري النيسابوري، تحقيق مصطفى حسنين عبد الهادي، دار السلام، القاهرة، 1431ه/2010م، ج:1، ص:74-75.

[2] مقدمة المحقق حمودة غرابه، كتاب اللمع لأبي الحسن الأشعري، ص: 5-6.

عند صاحب مركز أبي الحسن الأشعري هو بسبب اعتقاده أن كتاب الإبانة آخر ما ألفه الأشعري، وأنه مات على عقيدة الحنابلة، والنتيجة التي سيصل إليها حتما؛ هي أن ليست هناك صلة مطلقا بين منهج الحنابلة المقرر في "كتاب الإبانة"، ومنهج الأشاعرة المقرر في "كتاب اللمع"، و"هو المنهج الوسطي الذي صار سمة للمشروع الأشعري وعنوانا للمنهج الذي عمّ الإنتاج الفكري للأستاذ المؤسس ولتلاميذه وأتباعه من بعده على السواء؛ هؤلاء الأتباع الذين صاروا على نفس نهج الأستاذ المؤسس وطوروا المذهب من بعده وأوصلوه إلى درجة من التناسق والانسجام الفكري"[1].

إن تبني مركز أبي الحسن الأشعري لفكر "كتاب الإبانة" يمثل خطرا على عقيدة المغاربة وأمنهم الاجتماعي والفكري والروحي لما فيه من غلو وتطرف، وأتساءل هنا كما قد يتساءل كل من قرأ هذا الكتاب، ألا يقرأ المسأولون الكتب قبل تبني أفكارها في مؤسساتهم العلمية والدينية؟ وما هي المنافع العلمية والدينية والاجتماعية التي يمكن لمثل هذه الكتب أن تحققه للأمة المغربية المسلمة؟ وإذا كانت هذه المراكز والمؤسسات أنشئت قصد توجيه المغاربة إلى صالح معتقداتهم وأعمالهم؛ فكيف مر هذا الفكر المتطرف من أمام أعينهم ليُبيث عبر هذه المراكز والمؤسسات التي تهتم بشؤون عقيدة المغاربة؟

[1] عبد المجيد الصغير، مجلة الإبانة، العدد الأول، رجب 1434ه/يونيو 2013م.

الفصل الأول

بين منهج كتابي "الإبانة" و"اللمع"

صحة نسبة كتاب الإبانة إلى أبي الحسن الأشعري

يرى بعض الباحثين عدم صحة نسبة كتاب الإبانة إلى أبي الحسن الأشعري، وأنها منحولة عليه، أو تلاعبت بها بعض الأيدي، ومن هؤلاء:

محمد زاهد الكوثري، يقول عن الإبانة: "قد تلاحقت أقلام الحشوية بالتصرف فيها ولا سيما بعد فتن بغداد فلا تعويل على ما فيها مما يخالف نصوص أئمة المذهب من أصحابه وأصحاب أصحابه"،[1] وأن"النسخة المطبوعة في الهند من الإبانة نسخة مصحفة محرفة تلاعبت بها الأيدي الأثيمة فتجب إعادة طبعها من أصل وثيق".[2]

عبد الرحمن بدوي، يقول: "نشك كثيرا في صحة نسبة "الإبانة عن أصول الديانة" إلى أبي الحسن الأشعري".[3]

---

[1] الكوثري في تعليقه على "السيف الصقيل"، الطبعة الأولى، ص: 108.

[2] الكوثري في تعليقه على "تبيين كذب المفتري"، المكتبة الأزهرية للتراث، ط:1، ص: 28.

[3] مذاهب الإسلاميين، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، 1997، ص:533.

حسن السقاف يقول: "ان هذه الكتب المنسوبة إلى أبي الحسن الأشعري كالإبانة ومقالات الإسلاميين وأمثالها ليست من تصنيف أبي الحسن الأشعري بل هي من تصنيف أبي بكر الباقلاني للأدلة التالية:

1- أنه لا يوجد لتلك الكتب أسانيد للأشعري.

2- أن الأشاعرة لا يقولون بما فيها.

3- أن الأشاعرة لم يتداولوها فيما بينهم.

4- أن المجسمة الحنابلة ومن يميل إليهم مقبلون عليها راغبون بها...

5- أن أسلوب هذه الكتب وخاصة "الإبانة" و "مقالات الإسلاميين" مشابه جدا لأسلوب الباقلاني.

6- أن الباقلاني له كتاب اسمه "الإبانة" كما نص عليه غير واحد منهم الذهبي عند نقل كلام الباقلاني في هذا الكتاب (ترجمة رقم 139) والقاضي عياض في "ترتيب المدارك" (601/3).

7- أن الباقلاني كان مشهورا في عصره بلقب أبو بكر الأشعري كما يجد ذلك في كتب التراجم؛ ولما كتبوا على غلاف الكتاب تأليف الأشعري ظنوه أبا الحسن.

8- أن الباقلاني كان حنبلي المذهب والمشرب على التحقيق، وكان يكتب على الفتاوى التي يكتبها: (كتبه محمد بن الطيب الحنبلي) كما في "البداية والنهاية"(350/11).

9- أن الباقلاني كان صديقا حميما للحنابلة ولرئيسهم في بغداد، وكانت بينه وبين إمام الحنابلة في عصره صداقة وكيدة حميمة جدا...

10- أن الباقلاني هو المعروف بالاسترسال في ذكر الفرق وبيان مقالاتها وكتابه التمهيد من شواهد ذلك.

11- أن الإبانة مثلا فيه طعن بالإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى وهذا أسلوب الحنابلة الذين يعادون الحق وأهله وليس أسلوب أبي الحسن الأشعري"،[1] و"إذا قلنا بأن جميع تلك الكتب...محرفة وتلاعبت بها الأيدي الأثيمة، أو أن تلك المصنفات وضعت عليه، والله أعلم بحقيقة الحال، إذن ليس بأيدينا اليوم شئ صحيح يمكن الوثوق به حتى نعرف حقيقة الأشعري".[2] ويعزز قول حسن السقاف قول ابن عساكر، يقول: "وكان بينه (الباقلاني) وبين جماعة من الحنابلة مخالطة ومؤانسة واجتماع في سماع الحديث وروايته ومجالسه، وقد رأيت سماعه في عدة من الأجزاء والمجالس بخط الحافظ أبي الفتح بن أبي الفوارس".[3]

ومن المغاربة خالد زهري، يقول عن كتاب الإبانة: "بيد أن كثيرا من القرائن، تقف شاهدة على عدم صحة نسبته إليه"،[4] و"النتيجة التي نصل إليها، هي أن "الإبانة" من تأليف أحد حشوية الحنابلة، ولا يمت بصلة إلى المصنفات صحيحة النسبة إلى أبي الحسن الأشعري".[5]

فهؤلاء إذن يرون عدم صحة نسبة "كتاب الإبانة" إلى أبي الحسن الأشعري، أو ربما يكون قد تلاعبت به الأيدي كما نرى من خلال كلامهم.

---

1 نقد كتاب العلو للذهبي، حسن السقاف، دار الإمام الرواس، بيروت-لبنان، ط:3، س ط:1428ه/2007م، ص:512-513.
2 المصدر نفسه، ص:511.
3 تبيين كذب المفتري، ص:302.
4 خالد زهري، مجلة الإبانة، العدد الأول: رجب 1434هـ/يونيو 2013م.
5 المصدر نفسه.

ومما يشكك في نسبة هذا الكتاب إلى الأشعري –على اعتبار من يقول بذلك- هو عدم إلمام صاحب الكتاب بالفكر الاعتزالي، فالذي درس فكر المعتزلة من خلال كتبهم سيرى أن صاحب كتاب الإبانة إما غير ملم بفكر المعتزلة، أو أنه يتقول عليهم، كقوله في الإبانة: "وأنكرت المعتزلة عذاب القبر..."،[1] لكن القاضي عبد الجبار المعتزلي يقول: "أنه لا خلاف فيه بين الأمة، إلا شئ يحكى عن ضرار بن عمرو وكان من أصحاب المعتزلة ثم التحق بالمجبرة، ولهذا ترى ابن الراوندي يشنع علينا، ويقول: إن المعتزلة ينكرون عذاب القبر ولا يقرون به"،[2] فكلام القاضي عبد الجبار ينفي فيه انكار المعتزلة عذاب القبر، فمن أين جاء صاحب "كتاب الإبانة" بكلام نفي المعتزلة لعذاب القبر؟

ويتهم المعتزلة بأنهم يقولون إن الله في كل مكان، حيث يقول: "وزعمت المعتزلة والحرورية، والجهمية أن الله تعالى في كل مكان"[3] فــ"هجوم الأشعري على المعتزلة واتهامهم بأنهم يقولون بأن الله تعالى في كل مكان؛ بعدما أمضى معهم كما يقال أربعين سنة من حياته، وقوله بتلك التراهات المسطورة في الكتب المنسوبة إليه والموجودة بين أيدينا؛ إن ثبتت عنه يثبت أنه يفتري ويكذب على خصومه بما هم برآء منه، وهذه ليست من صفات الأئمة الذين يقتدى بهم".[4]

---

[1] الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري، تحقيق فوقية حسين محمود، ط:1، س ط: 1977، ج:2، ص: 247.

[2] شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، مكتبة وهبة، ط:3، س ط:1416هـ/1996م، ص: 730.

[3] الإبانة، ج:2، ص:109.

[4] حسن السقاف، كتاب نقد كتاب العلو للذهبي، ص: 511.

ويقول: "وأنكرت المعتزلة الحوض"،[1] فلم يثبت عن المعتزلة انكارهم الحوض من خلال مصنفاتهم، وإنما هذا من افتراءات صاحب الإبانة، يقول حسن السقاف: "ما ينقله أبو الحسن في "الإبانة" وغيره عن المعتزلة إن ثبت عنه فإنه يسقطه عن مرتبة الإمامة والمرجعية سقوطا تاما!"،[2] فمن خلال هذا يمكننا أن نتساءل، كيف بأبي الحسن الأشعري الذي قيل إنه بقي في الاعتزال أربعين سنة، أكل هذه السنين ولم يستوعب فكر المعتزلة؟ فالمسألة محيرة حقا!

هل كتاب الإبانة آخر ما ألفه الأشعري؟

اعتقاد أن "كتاب الإبانة" هو آخر ما ألفه الأشعري؛ وبالتالي اعتباره المرجع الوحيد لفكر أبي الحسن الأشعري والأشاعرة من بعده، وبالتالي يحق لمركز أبي الحسن الأشعري تبني ما في الكتاب من أفكار، لا يصح هذا التخمين؛ لسبب أن "كتاب اللمع" هو آخر ما ألفه الأشعري؛ لأدلة كثيرة ذكرها الباحثون عند حديثهم عن الأسبقية في التأليف بين "كتاب الإبانة" و"كتاب اللمع"، أذكر منها بعض أقوال الدارسين:

قال الكوثري: "وتأليف الإبانة كان في أوائل رجوعه عن الاعتزال لتدريج البربهاري إلى معتقد أهل السنة، ومن ظن أنها آخر مؤلفاته فقد ظن باطلا".[3] ومثل ذلك ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء، قال الذهبي: "فقيل إن الأشعري لما قدم بغداد جاء

---

[1] الإبانة، ج:2، ص:290.
[2] نقد كتاب العلو للذهبي، حسن السقاف، ص:511.
[3] الكوثري في تعليقه على "السيف الصقيل"، الطبعة الأولى، ص: 108.

إلى أبي محمد البربهاري فجعل يقول: رددت على الجبائي، رددت على المجوس، وعلى النصارى. فقال أبو محمد: لا أدري ما تقول، ولا نعرف إلا ما قاله الإمام أحمد، فخرج وصنف الإبانة فلم يُقبَل منه"،[1] وهذا يقتضي أنه ألفه في أوائل رجوعه عن الاعتزال.

وقد علق مكارثي على كتاب "الإبانة" في كتابه "عقائد الأشعري" ص: 232 وقارن بينه وبين كتاب "اللمع" فقال: إن "الإبانة" كتاب تقليدي، وأن "اللمع" كتاب تخلص فيه الأشعري من الاتجاه التقليدي".[2]

وترى فوقية حسين أن الإبانة أسبق من اللمع؛ حيث تقول: "أنه قد ثارت حول "الإبانة وكتاب "اللمع" مناقشات تخص تاريخ تأليف كل منهما...ورأيي أن الإبانة هو الأسبق، على اعتبار أنه يتبين من تأليفه وعنوانه أن الهدف من كتابته هو بيان أصول الديانة".[3]

ويقول حمودة غرابة في مقدمة تحقيق كتاب اللمع: "إنني أعتقد أن هناك فرضا آخر هو أحق بالادعاء وأدنى إلى القبول وهو أن الصورة السلفية التي يصورها "الإبانة" قد صدرت أولا، وأن الصورة العقلية التي يصورها "اللمع" قد صدرت أخيراً وأنها كانت تحديدا لمذهب الأشعري في وضعه النهائي الذي مات صاحبه وهو يعتقده ويعتقد صحته ويدافع عنه ويرضاه لأتباعه"،[4] وهذا الرأي أيضا يقول به "فنسنك" وغيره من الباحثين.[5]

---

[1] سير أعلام النبلاء، 90/10.
[2] فوقية حسين، الإبانة، ج:1، ص: 77.
[3] المصدر نفسه، ص:79-80.
[4] مقدمة حمودة غرابة، كتاب اللمع لأبي الحسن الأشعري، ص: 7.
[5] المصدر نفسه، ص: 7.

وما يؤكد أسبقية الإبانة على اللمع قول أبي الحسن الأشعري نفسه في كتابه الإبانة؛ وقد عرَّف بعقيدته لأول مرة بعد خروجه من الاعتزال، حيث قال: "فإن قال لنا قائل قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون؟ قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها، التمسك بكتاب الله ربنا عز وجل، وبسنة نبينا محمد (ﷺ)، وما روي عن السادة الصحابة والتابعين، وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقوله أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، نضر الله وجهه".[1] فلو كان "كتاب اللمع" قبل الإبانة لما جاء أبو الحسن الأشعري باحتمال أن يُسأل هذا السؤال المتعلق بالتعريف بعقيدته وإلا فكتبه التي كان من المفترض أن تكون قبل الإبانة معلومة للناس وفيها التعبير عن فكره فليس هناك داع لسؤالهم إياه عن التعريف بعقيدته، ثم إننا لا نجد الكلام عن "الكسب" في "كتاب الإبانة" وهي النظرية التي اشتهر بها الأشعري وسار على نهجها كل الأشاعرة؛ فلو أن "كتاب الإبانة" هو الأخير لكانت ذكرت فيه.

كان هذا عرضا لأقوال الباحثين حول أسبقية الكتابين، وكيف يرون أسبقية "كتاب الإبانة" على "كتاب اللمع"، وأن هذا الأخير هو المنهج الذي سار عليه الأشاعرة من بعد أبي الحسن الأشعري، وحتى إن كان كتاب الإبانة آخر ما ألفه أبو الحسن الأشعري فلا يصح الاعتماد عليه وتبني فكره لما يحمله من خطورة على الاعتقاد، وخير للفكر الأشعري المغربي أن ينتهج نهج "كتاب اللمع" الذي يمثل الفكر الأشعري المغربي والذي سار على نهجه علماء الغرب الإسلامي قاطبة منذ القديم، خاصة بعد دخول كتاب

[1] الإبانة عن أصول الديانة، ج:2، ص:20.

"الإرشاد" للجويني إلى المغرب، وهو على منهج "كتاب اللمع" في الاستدلال على العقائد، والدارس لتاريخ العقيدة الأشعرية بالمغرب يعرف هذا، "ولا عبرة هنا بمحاولة بعض الحنابلة، قديما وحديثا، الفصل بين أبي الحسن وتلاميذه وادعائهم أن أبا الحسن كان أقرب إليهم هم المستأثرون بوصف "أهل السنة"! وأن تلامذة أبي الحسن، وخاصة منهم الجويني والغزالي، قد حادوا عن طريقهم وبانوا عن منهج السلف!".[1]

مضامين "كتاب الإبانة"

سأورد هنا بعض الطوام المبثوثة في "كتاب الإبانة" والتي يريدون للمغاربة إعتقادها والتسليم بها والتزام نتائجها.

- ✓ **قوله بالتشبيه والتجسيم**

- نسبة المكان إلى الله:

ومنها أن الله في السماء جالس على عرشه، يقول الأشعري: "ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء، لأن الله تعالى مستو على العرش الذي هو فوق السماء".[2]

وأن الله سبحانه ساكن في السماء ومحتجب بسبع سموات، يقول الأشعري: "ومن دعاء أهل الإسلام جميعا إذا هم رغبوا إلى الله تعالى في الأمر النازل بهم يقولون جميعا: (يا ساكن السماء)، ومن

---

[1] عبد المجيد الصغير، مجلة الإبانة، العدد الأول، رجب 1434ه/يونيو 2013م.
[2] الإبانة عن أصول الديانة، ج:2، ص:107.

خلَفَهم جميعا: (لا والذي احتجب بسبع سموات)"[1] ويقول: "أن الله تعالى على عرشه في السماء".[2]

- تشبيهه تعالى بالمخلوقين ونسبة الأعضاء إليه:

يقول في الإبانة: "وأن له سبحانه وجها (بلا كيف) كما قال ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾[الرحمن:27]"[3]

ويقول: "قال الله تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ﴾[القصص:88]...فأخبر أن له (سبحانه) وجها لا يفنى ولا يلحقه الهلاك".[4]

فعلى منطق صاحب الكتاب، إن كل ذات الله تفنى وتهلك إلا وجهه؟! سبحانه وتعالى عما يصفون.

وكذلك يقول: "ونفى الجهمية أن يكون لله تعالى وجه كما قال، وأبطلوا أن يكون له سمع وبصر وعين".[5]

ويقول: "وأن له سبحانه يدين بلا كيف، كما قال سبحانه: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص:75]، وكما قال: ﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة:64]".[6]

ويقول أيضا: "وأن له سبحانه عينين بلا كيف، كما قال سبحانه: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنا﴾[القمر:14]".[7]

---

[1] المصدر نفسه، ص:115.
[2] المصدر نفسه، ص:119.
[3] المصدر نفسه، ص:22.
[4] المصدر نفسه، ص:120.
[5] المصدر نفسه، ص: 122.
[6] المصدر نفسه، ص:22.
[7] المصدر نفسه، ص:22.

ويقول: "وأنه سبحانه يضع السموات على أصبع، والأراضين على أصبع كما جاءت الرواية عن رسول الله (ﷺ) (من غير تكييف)"،[1] والصحيح أن هذه الرواية ليست عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما عن يهودي، والرسول عليه السلام اكتفى بالضحك والتعجب من قول اليهودي المجسم، وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[الزمر:67].

وأتباع أبي الحسن الأشعري من بعده لم يكونوا يرون إمامهم مجسما ومشبها بل كانوا يحسبونه على طريقتهم في تنزيه الله سبحانه في العقائد، يقول ابن خلدون: "وقام بذلك الشيخ أبو الحسن الأشعري إمام المتكلمين؛ فتوسط بين الطرق ونفى التشبيه، وأثبت الصفات المعنوية وقصَر التنزيه على ما قصَره عليه السلف، وشهدت له الأدلة المخصصة لعمومه؛ فأثبت الصفات الأربع المعنوية والسمع والبصر والكلام القائم بالنفس بطريق العقل والنقل"،[2] فقد كان الأصل عندهم التأويل عند وجود النصوص المتشابهة، قال الجويني: "والإعراض عن التأويل حذرا من مواقعة محذور في الاعتقاد يجر إلى اللبس والإيهام، واستزلال العوام، وتطريق الشبهات إلى أصول الدين، وتعريض بعض كتاب الله تعالى لرجم الظنون".[3] فهكذا كان نهج الأشاعرة في تعاملهم مع نصوص الوحي.

---

[1] المصدر نفسه، ص:27.
[2] مقدمة ابن خلدون، دار الفكر، بيروت –لبنان، س ط:1428هـ/2007م، ص:473.
[3] كتاب الإرشاد، الجويني، تحقيق: محمد يويف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، س ط:1369ه/1950م، ص: 42.

- ✓ **قوله إن القرآن بكامله قديم:**

يقول الأشعري في الإبانة: "فإن قال قائل: حدثونا عن اللفظ بالقرآن، كيف تقولون فيه؟ قيل له: القرآن يُقرأ في الحقيقة ويُتلى ولا يجوز أن يقال يُلفظ به، لأن القائل لا يجوز له أن يقول: إن كلام الله ملفوظ به، لأن العرب إذا قال قائلهم لفظت باللقمة من فمي فمعناه رميت بها، وكلام الله تعالى لا يقال يُلفظ به، وإنما يُقال يُقرأ ويُتلى، ويُكتب ويُحفظ. وإنما قال قوم لفظنا بالقرآن ليثبتوا أنه مخلوق، ويزينوا بدعتهم، وقولهم بخلقه ويدلسوا كفرهم على من لم يقف على معناهم، فلما وقفنا على معناهم أنكرنا قولهم، وكذا لا يجوز أن يُقال؛ إن شيئا من القرآن مخلوق لأن القرآن بكامله غير مخلوق".[1]

وهذا الكلام يقرر أن كل القرآن مخلوق لفظا ومعنى، كما كان يقول المجسمة بأنه حتى الجلد الذي يكوّن المصحف مخلوق. ثم إن المصنف بنفيه أن يكون الكلام يُلفظ قد أظهر جهله بالقرآن الكريم واللغة العربية، فجهله بالقرآن أنه لم يقرأ قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق:18]، والقرآن قول فهو يُلفظ به، وقد قال البخاري لفظي بالقرآن مخلوق. و"كان مسلم بن الحجاج يُظهر القول باللفظ ولا يكتمه".[2]

أما جهله باللغة فإن القاموس يقول: "لفِظَه...بالكلام: نطق"،[3] "ولفظتُ بالكلام وتلفظتُ به، أي تكلمت به"،[4] فتبين أن كلام المصنف لا صحة له.

---

[1] الإبانة، ج:2، ص:101.

[2] سير أعلام النبلاء، الذهبي، (572/12).

[3] القاموس المحيط، الفيروز آبادي، دار الحديث القاهرة، س ط: 1429ه/2008م، مادة (لفظ)، ص: 1479.

[4] لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، القاهرة، مادة (لفظ)، ج:2، ص:4053.

✓ **تكفيره أهل الإسلام:**

التكفير في هذا الكتاب بيِّن وجلي لكل ذي بصيرة وكل من لا يرى تكفير أهل القبلة، وهذه نماذج منه، يقول أبو الحسن الأشعري: "ونقول إن كلام الله غير مخلوق، وأن من قال بخلق القرآن فهو كافر".[1]

ويقول عن المعتزلة: "ودانوا بخلق القرآن، نظيرا لقول إخوانهم من المشركين؛ الذين قالوا: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾[المدثر:25]".[2]

فالمعتزلة لم يقولوا بأن القرآن قول البشر بل هم يقولون القرآن كلام الله مخلوق، والمؤلف افترى عليهم هنا ليوهم الناس ويوجد مدخلا لتكفير المعتزلة ومن قال بخلق القرآن من أهل الإسلام، فليس المعتزلة وحدهم من يقولون بهذا القول.

ويقول الأشعري في معرض رده على المعتزلة في مسألة خلق القرآن: "وهذا هو الخروج عن الإسلام"،[3] "والخروج عما عليه جمهور أهل الإسلام".[4]

وجاء برواية عن ابن المبارك ليبين حجم من يقول بخلق القرآن: "يقول: إنا نستطيع أن نحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية"،[5] يقصد بالجهمية المعتزلة.

ويقول: "خبرونا عمن زعم أن الله متكلم، قائل، آمر، ناه، لا قول له، ولا كلام، ولا أمر له، ولا نهي، أليس هو مناقض خارج عن جملة المسلمين؟

---

[1] الإبانة، ج:2، ص:25.
[2] المصدر نفسه، ص:15.
[3] المصدر نفسه، ص:81.
[4] المصدر نفسه، ص:70.
[5] المصدر نفسه، ص:90.

فلا بد من نعم. يقال لهم: فكذلك من قال: إن الله تعالى عالم ولا علم له كان ذلك مناقضا خارجا عن جملة المسلمين".[1] وهذه هنا مغالطة ولعب بالألفاظ، يريد الرجل أن يوجد مسوغا لإخراج المخالفين له في الرأي من ملة الإسلام فقط، وليس قول هؤلاء كما زعم، بل هم لا يقولون ذلك.

والرجل يكفر لمجرد الاختلاف مع الخصوم وليس لإنكارهم أصلا من أصول الدين، أو ما كان معلوما من الدين بالضرورة، فهو يكفر في مسائل الاختلاف في الصفات وهذه لا يكفر فيها المسلم فهي ظنية الدلالة، وسلوك هذا المنهج في التكفير يوقع الخصومة بين المسلمين وفتح باب الصراع فيما بينهم.

يقول ابن عساكر في رده على الأهوازي ودفاعه عن أبي الحسن الأشعري في مسألة من قال بأن لفظي بالقرآن مخلوق: "فإن الأشعري كان لا يرى تكفيره ولا تكفير أحد من أهل القبلة لسعة فضله"،[2] وهذا بخلاف ما في كتاب الإبانة من تكفير الأشعري أهل القبلة من المسلمين.

ونجد أبا الحسن الأشعري لا يكفر المسلمين في كتابه مقالات الإسلاميين.

يقول: "اختلف الناس بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم في أشياء كثيرة ضلّل فيها بعضهم بعضا وبرئ بعضهم من بعض فصاروا

---

[1] المصدر نفسه، ص:144-145.

[2] تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري، ابن عساكر الدمشقي، تحقيق محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، ط:1، ص: 300.

فرقاً متباينين، وأحزابا متشتتين، إلا أن الإسلام يجمعهم ويشتمل عليهم".[1]

فلماذا هاذا الاهتمام بكتاب الإبانة من قبل مركز أبي الحسن الأشعري بما فيه من تكفير للمسلمين؛ بخلاف كتب الأشعري المتأخرة خاصة "كتاب اللمع"، وهي التي يمكن أن تكون مرجعا لعقيدة المغاربة إذا كان ولا بد من ترسيم العقيدة الأشعرية في المغرب.

- **قوله بالجبر:**

يقول الأشعري: "أنّا لا نشاء شيئا إلا وقد شاء الله نشاء"[2].

وهذا جبر محض وخروج عن نظرية الكسب التي قررها وإن كانت هي أيضا فيها جبر خفي، "لقد أظهر الأشعري في كتاب "الإبانة" عقيدة الجبر في أعرض صورها وهو يتحدث عن القضاء والقدر"[3] وهذا القول خطير على سلوك المسلم، إذ سيجعل المجرم يأتي بتبريرات لجرائمه وأفعاله وينسبها إلى مشيئة الله ما دام أن الأشعري يقول بأن الله شاء أن نشاء أفعالنا القبيحة، وبهذا نجعل أخلاق المغاربة وسلوكهم في طريق خطر.

---

[1] مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، س ط: 1411ه/1990م، ج:1، ص: 34.

[2] الإبانة، فوقية حسين محمود، ج:2، ص: 161 وما بعدها.

[3] حسن السقاف في تعليقه على كتاب الإبانة وهو من تحقيقه، ص:47.

✓ **إباحته قتل المسلمين وسفك دمائهم:**

ذكر الأشعري في معرض رده على المعتزلة في قولهم بخلق القرآن رواية جاء بها ليبين حكم من قال بخلق القرآن، حيث يقول: "وذكر الحسين بن عبد الأول قال: سمعت وكيعا يقول: من قال القرآن مخلوق فهو مرتد يستتاب، فإن تاب وإلا قُتل".[1]

ويقول: "ولولا أنهم خافوا السيف لأفصحوا بأن الله غير سميع، ولا بصير، ولا عالم، ولكن خوف السيف منعهم من إظهار زندقتهم".[2]

ويقول أيضا: "وأرادوا أن ينفوا أن الله تعالى عالم قادر، حي سميع بصير، فمنعهم خوف السيف من إظهارهم نفي ذلك".[3]، فهذه هي لغة "الإبانة التي صيغت أفكارها بعبارات عنيفة ومتشنجة، ولا نتردد في نعتها بـــ"لغة السيف وقطع الرؤوس".[4]

هذه أقوال صريحة في إباحة دماء المسلمين، لمجرد الاختلاف في مسائل الصفات، وبهذا يمكن لكل أحد أن يتهم مخالفه بالزندقة ويستبيح دمه، وهذا تطرف وإرجاف.

بيان ما في كتاب اللمع من تنزيه

في كتاب اللمع نجد خلاف ما في كتاب الإبانة من تشبيه وتجسيم وتطرف، حيث ينفي أبو الحسن الأشعري عن الله تعالى

---

[1] المصدر نفسه، ص:89.
[2] المصدر نفسه، ص:123.
[3] المصدر نفسه، ص:143.
[4] خالد زهري، مجلة الإبانة، العدد الأول: رجب 1434هـ/يونيو 2013م.

التشبيه والتجسيم، قال الأشعري في كتاب اللمع: "فإن قال قائل: لِمَ زعمتم أن الباري سبحانه لا يشبه المخلوقات؟

قيل له: لانه لو أشبهها لكان حكمه في الحدث حكمها، ولو أشبهها لم يخل من أن يشبهها من كل الجهات أو من بعضها. فإن أشبهها من جميع الجهات كان محدَثا مثلها من جميع الجهات، وإن أشبهها من بعضها كان محدَثا من حيث أشبهها، ويستحيل أن يكون المحدَث لم يزَل قديما. وقد قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى:11]، وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص:4]".[1]

فهذا نص جلي واضح المعنى، وجامع لقواعد التنزيه مما قد يُقال في تأويل جميع الصفات التي يوحي ظاهرها إلى التشبيه والتجسيم، بالمقابل ما في كتاب الإبانة من تشبيه وتجسيم، من إثبات للوجه والعينين واليدين والجنب والعلو والجهة والنزول إلى السماء الدنيا والاستواء بمعنى الجلوس، مما يفيد أن كتاب "اللمع" آخر ما ألفه أبو الحسن الأشعري، وسار على نهجه تلامذه من بعده، حتى طوروا المذهب.

✓ مقارنة منهجية بين "كتاب الإبانة" و"كتاب اللمع"

نقارن هنا بين منهجية "كتاب الإبانة" ومنهجية "كتاب اللمع"، حيث أننا نجد فرقا بين الفكرين المبثوثين في هذين الكتابين، وعقائد مختلفة، وذلك بسبب اختلاف المنهجين في الاستدلال على العقائد في كليهما، ففي "كتاب الإبانة" نجد الأشعري يؤكد على انتمائه لأحمد بن حنبل والانتساب إلى طريقته والدفاع عنها

[1] كتاب اللمع، أبو الحسن الأشعري، ص: 20.

والإشادة بها، ويثبت الصفات التي جاءت في القرآن والسنة على ظاهرها؛ كإثباته لله الوجه واليدين والعينين والجنب والعلو والنزول إلى السماء الدنيا والاستواء على العرش بمعنى الاستقرار، ولا يتحدث عن التنزيه مطلقا ولا على نظرية الكسب التي اشتهر بها. بينما نجده في "كتاب اللمع" أعمق تفكيرا، وأقوم منهجا، وأكثر اهتماما بالاستدلال العقلي على العقائد، وهو لا يذكر فيه الإمام أحمد بن حنبل، ولا يسير على طريقته، ولا يدعو إلى منهجه؛ بل يهاجم فيه الذين لا يعتمدون النظر والاستدلال العقلي، وفي كتابه "اللمع" ينزه الله تعالى عن التجسيم والتشبيه، فلا يذكر الوجه واليدين والعينين كما في "كتاب الإبانة"، ويسهب في "كتاب اللمع" في الحديث عن "نظرية الكسب" وتقريرها.

الملاحظ أيضا في كتاب الإبانة أنه عبارة عن ردود، لا أنه بيان للعقيدة، فكأنما يبحث عن قول الخصوم ليعارضها ويقرر خلاف قولهم؛ فجاءت عقيدته من خلال الردود على خصومه، فهي عقيدة ناتجة عن ردة فعل بالخصوص؛ وليست عن استنباط موارد النصوص، والاستدلال عليها عقلا.

فكر الأشعري في "كتاب الإبانة" "فكر هزيل ضعيف عقلا ونقلا، وقد لا حظنا أن الأشعري يأتي بكلام غير منطقي ولا معنى له بل ركيك ومتضارب، وأن الحامل له على ذلك مجرد حب تغليط المعتزلة وأشخاص كانوا يعيشون في عصره ليبين أنهم مخطئون ولو بباطل القول"،[1] بينما يكشف "كتاب اللمع" عن النزعة العقلية لأبي الحسن الأشعري، وهي تقريبا النزعة العقلية التي عليها الأشاعرة الذين أخذوا عنه مذهبه من بعده؛ مما يفيد أن هذا الكتاب متأخر عن كتاب الإبانة، ففي "كتاب اللمع" يتوسع في

[1] حسن السقاف، كتاب الإبانة، بتحقيقه، ص: 45.

استعمال الأدلة العقلية، ويمهد فيه لمذهب كلامي جديد يجمع بين العقل والنقل؛ وإن كان يجعل النقل أول الأدلة، مخالفا لمنهج المعتزلة الذين يجعلون العقل أول الأدلة.

وقد علق مكارثي على "كتاب الإبانة" في كتابه "عقائد الأشعري" ص: 232 وقارن بينه وبين "كتاب اللمع" فقال: إن "الإبانة" كتاب تقليدي، وأن "اللمع" كتاب تخلص فيه الأشعري من الاتجاه التقليدي"،[1] ويقول عبد الرحمن بدوي: "نعده (اللمع) أنضج من "الإبانة" وأقرب أن يكون الأشعري الذي تصوره التاريخ وتأثر به التلاميذ واحتفل له علم الكلام، ولأنه عرض عقلي دقيق الحجة، وليس مجرد إعلان عقيدة كما في حال "الإبانة"،"[2] فقد "تضمَّن هذا الكتابُ عقائدَ يستحيل أن تصدر عن مبتدئ في دراسة المذهب الأشعري، بل يستحيل صدورها من عوام أهل السنة، بَلْهَ أن تصدر عن رأس من رؤوس مذهب أهل السنة".[3]

فهذه إذن جملة الأقوال عن اختلاف المنهجين بين "كتاب الإبانة" و"كتاب اللمع".

مخالفة الأشاعرة لمنهج كتاب الإبانة

لقد خالف الأشاعره قواعد منهج "كتاب الإبانة" وما سطره أبو الحسن الإشعري في هذا الكتاب، وذلك "أن ما ينقله أتباعه عنه

---

[1] فوقية حسين الإبانة، ج:1، ص: 77.

[2] مذاهب الإسلاميين، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، 1997، ص:533.

[3] مجلة الإبانة، العدد الأول، رجب 1434/يونيو 2013.

خلاف ما هو مسطر في الكتب والمصنفات التي تنسب إليه"،[1] و"أن الأشاعرة المتأخرين لا يسايرونه على عقيدته في الصفات وما يتعلق بها؛ التي أودعها في الإبانة"،[2] و"المذهب الأشعري في غالب مسائله وقضاياه لا يساير كتاب "الإبانة"...والأشاعرة أو الأشعرية على التحقيق ليس مذهبا واحدا أو نهجا واحدا وإنما هو عدة أشكال واتجاهات من المذاهب والمناهج"،[3] ورغم اختلافهم عن الأشعري واختلاف بعضهم عن بعض؛ إلا أن المنهج في نسقه الكلي العام لا يخرج عن مذهب أبي الحسن الأشعري ومنهجه في "كتاب اللمع"، "وذلك هو المنهج الوسطي الذي صار سمة للمشروع الأشعري وعنوانا للمنهج الذي عمّ الإنتاج الفكري للأستاذ المؤسس ولتلاميذه وأتباعه من بعده على السواء؛ هؤلاء الأتباع الذين صاروا على نفس نهج الأستاذ المؤسس وطوروا المذهب من بعده وأوصلوه إلى درجة من التناسق والانسجام الفكري".[4]

خطورة التشبيه والتجسيم على اعتقاد المسلمين

هذه العقائد الموجودة في "كتاب الإبانة" هي نفسها عقائد الحنابلة المجسمين، فإن هؤلاء الحنابلة بعد أحمد بن حنبل أحدثوا القول بالتجسيم والتشبيه ونسبوها إلى المذهب الحنبلي وإلى الإسلام، ويقول فيهم ابن الجوزي الحنبلي: "رأيت من أصحابنا من

---

[1] نقد كتاب العلو للذهبي، حسن السقاف، ص:511.
[2] حسن السقاف شرح الإبانة، ص: 39.
[3] حسن السقاف شرح الإبانة ص: 16.
[4] عبد المجيد الصغير، مجلة الإبانة، العدد الأول، رجب 1434ه/يونيو 2013م.

تكلم في الأصول بما لا يصح...فصنفوا كتبا شانوا بها المذهب، ورأيتهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام، فحملوا الصفات على مقتضى الحس، فسمعوا أن الله تعالى خلق آدم على صورته، فأثبتوا له صورة ووجها زائدا على الذات، وعينين وفما ولهوات وأضراسا وأضواءً لوجهه هي السُّبُحات ويدين...وقد أخذوا بالظاهر في الأسماء والصفت، فسموها بالصفات تسمية مبتدعة لا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل، ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعاني الواجبة لله تعالى ولا إلى إلغاء ما يوجبه الظهر من سمات الحدوث...ثم يتحرَّجون من التشبيه ويأنفون من إضافته إليهم ويقولون: نحن أهل السنة، وكلامهم صريح في التشبيه وقد تبعهم خلق من العوام"،[1] ونحن عندما نقرأ "كتاب الإبانة" نجده على هذا الفكر الحنبلي المجسم والمشبه.

الاعتقاد بظواهر النصوص مناف لعقيدة الإسلام

القول بالتجسيم والتشبيه خطر على عقيدة المسلمين، فالإسلام ينبذ مثل هذا الاعتقاد، ويدعو إلى التنزيه، الذي هو أصل الاعتقاد، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:11]، خلافا لاعتقاد المجسمة والمشبهة الذين يقولون بالوجه والعينين واليدين والساق والجنب والجهة والعلو والنزول والاستواء بمعنى الجلوس والاستقرار، وتشبيهه تعالى بالمخلوقات، كما في "كتاب الإبانة" للأشعري، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، والأصل في النصوص المتشابهة الذي يوحي ظاهرها

---

[1] دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، لابن الجوزي، تحقيق حسن السقاف، دار الإمام الرواس، بيروت-لبنان، ط:4، س ط:1428هـ/2007م، ص: 100-101.

بالتشبيه هو التأويل؛ وليس الإعراض عن التأويل بدعوى الخشية من الوقوع في المحذور، قال الجويني: "والإعراض عن التأويل حذرا من مواقعة محذور في الاعتقاد يجر إلى اللبس والإيهام، واستزلال العوام، وتطريق الشبهات إلى أصول الدين، وتعريض بعض كتاب الله تعالى لرجم الظنون"،[1] وقال السبكي: "إنما المصيبة الكبرى والداهية الدهياء الإصرار على الظاهر والاعتقاد أنه المراد"،[2] وقال ابن حجر العسقلاني: "فمن أجرى الكلام على ظاهره أفضى به الأمر إلى التجسيم".[3]

✓ **التأويل عند السلف:**

ورد لفظ "التأويل" في القرآن الكريم: 17 مرة[4] "فقد أمر الله تعالى...بتدبر الآيات والعلم بها ونهى المؤمنين أن يخروا عليها صما وعميانا، وذكر التأويل باللفظ فقال سبحانه: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[آل عمران:7]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾[يوسف:6]، أي يعلمك معاني وبيان وتفسير الأحاديث، وقال تعالى: ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾[يوسف:21]، ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾[يوسف:101]، ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ

---

[1] كتاب الإرشاد، الجويني، مطبعة السعادة، مصر، س ط:1369ه/1950م، ص: 42.
[2] الطبقات، 192/5.
[3] فتح الباري، 432/13.
[4] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، نشر دار الفكر سنة 1981م-1401هـ، مادة " أول" ص: 97.

تَأْوِيلًا﴾[النساء:59]، والآيات في هذا كثيرة"[1] وقال النبي (صلى الله عليه وسلم) لابن عباس: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل).[2]

هذا ويزعم المتنطعون أن السلف لم يكونوا يؤولون النصوص المتشابهة، وأنهم كانوا يثبتونها على ظاهرها، بل التأويل ثابت عن السلف من الصحابة والتابعين وأئمة الدين، وهذه بعض النماذج من تأويلات السلف:

- تأويل الساق:

عن ابن عباس في تأويله لآية ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[القلم:42]، "قال: قوله: (يوم يكشف عن ساق) هو الأمر الشديد المفظع من الهول يوم القيامة".[3]

وقال "...مجاهد وإبراهيم النخعي وقتادة وجمهور العلماء: يُكْشَفَ عن شدة"،[4] وكذلك أوله سعيد بن جبير، "قال عاصم بن كليب: رأيت سعيد بن جبير غضب وقال: يقولون يكشف عن ساقه، وإنما ذلك عن أمر شديد".[5]

وقال ابن جرير الطبري في تفسيره لهذه الآية: "قال جماعة من الصحابة والتابعين من أهل التأويل: يبدو عن أمر شديد".[6]

- تأويل الأيدي:

---

[1] عقد الزبرجد النضيد شرح جوهرة التوحيد، حسن السقاف، دار الإمام النووي، بيروت، ط:1، س ط:1434هـ/2013م، ص:418.
[2] أخرجه الحاكم في مستدركه.
[3] تفسير عبد الله بن عباس، مؤسسة الكتب الثقافية، ط:1، س ط:1411هـ/1991م، ص:496. وانظر تفسير ابن كثير، مكتبة النور العلمية، بيروت، س ط:1416هـ/1995م، ج:4، ص:408.
[4] دفع شبه التشبيه لابن الجوزي، ص: 118.
[5] المصدر نفسه، ص:119.
[6] تفسير الطبري، (38/29) .

وقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[الذاريات:47]، قال: بأيد: بقوة".[1]

- تأويل المجئ:

ومنهم الإمام أحمد بن حنبل "تأول قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾[الفجر:22]، أنه: جاء ثوابه".[2]

وكذلك في تأويله لقوله تعالى: (وجاء ربك)، أي جاء أمره. "قال أحمد بن حنبل: وإنما صرفه إلى ذلك أدلة العقل فإنه لا يجوز عليه الانتقال".[3]

- تأويل النزول:

والإمام مالك، "قال ابن عدي: حدثنا محمد بن هارون بن حسان، حدثنا صالح بن أيوب حدثنا حبيب بن أبي حبيب حدثني قال مالك: "يتنزل ربنا تبارك وتعالى أمرُهُ، فأما هو فدائم لا يزول"."[4]

- تأويل الاستواء:

وأما الإمام مالك حين سئل عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾[يونس:3]، فقال: "الاستواء معلوم والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة"، "هذا لأن العوام لا يدركون الغوامض".[5] و"السلف كانوا يفسرون الاستواء بالملك والقهر والسلطان والجلال والرفعة والكبرياء والعظمة، لا بالعلو

---

[1] تفسير ابن عباس، ص:466. وانظر تفسير ابن كثير، ج:4، ص:238-239.
[2] البدية والنهاية لابن كثير، نقلا عن مقدمة محقق كتاب دفع شبه التشبيه لابن الجوزي، ص: 13، وصحيح شرح العقيدة الطحاوية له أيضا، ص: 147.
[3] ابن الجوزي، دفع شبه التشبيه، ص:110.
[4] سير أعلام النبلاء للذهبي، (105/8).
[5] ابن الجوزي، دفع شبه التشبيه، ص:110.

الحسي، كما صرح بذلك الإمام الحافظ ابن جرير عنهم، وهذا هو الموافق للشرع والعقل، وهو الذي قاله أهل الحديث من بعدهم كالحافظ ابن حبان والحافظ البيهقي وبعدهما مثل الحافظ النووي والحافظ ابن حجر".[1]

- تأويل القدم:

والحسن البصري، في حديث منسوب بالنبي (ﷺ) (لا تزال جهنم يُلقى فيها وتقول: هل من مزيد..؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض فتمتلئ)... وقد حكى أبو عبيد الهروي عن الحسن البصري أنه قال: القدم هم الذين قدّمهم الله تعالى من شرار خلقه وأثبتهم لها".[2]

- تأويل الوطأة:

وسفيان بن عيينة تأويله لحديث عن النبي (ﷺ) أنه قال: (آخر وطأة وطئها الرحمن بِوَجٍ) وهو حديث ضعيف إلا أنه يهمنا تأويله له، "قال سفيان بن عيينة في تفسير هذا الحديث: آخر غزاة غزاها رسول الله (ﷺ) بالطائف".[3]

- تأويل المعية:

وسفيان الثوري عندما سئل عن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[الحديد:4]، فقال: بعلمه".[4]

- تأويل الضحك:

---

[1] حسن السقاف، صحيح شرح الطحاوية، دار الإمام الرواس، بيروت-لبنان، ط:4، س ط:1428هـ/2007م، ص:150.
[2] دفع شبه التشبيه لابن الجوزي، ص:170.
[3] المصدر نفسه، ص:223.
[4] سير أعلام النبلاء، الذهبي، (274/8).

وأول الإمام البخاري، فقد نقل الحافظ البيهقي أنه قال: "معنى الضحك الرحمة".[1]

ويتضح من هذا كله أن التأويل كان منهج الصحابة والتابعين في الآيات المتشابهات والنصوص التي يوحي ظاهرها إلى التجسيم.

لقد أول في التفسير كثير من السلف؛ كمجاهد وهو تابعي، وابن جرير من أئمة السلف، "فقد ثبت التأويل في ما يتعلق بالصفات عن السلف بلا شك ولا ريب، وعلى ذلك سار الأشاعرة فهم مصيبون، وقد أخطأ خطأً فادحا وغلط غلطاً لائحاً مَن تطاول على الأشاعرة وضللهم لأنهم يؤولون!".[2]

كل هذا مما لا يدع مجالا للشك أن التأويل منهج السلف المتقدمين وعلى رأسهم الصحابة والتابعين.

---

[1] الأسماء والصفات للبيهقي، نقلا عن مقدمة محقق كتاب دفع شبه التشبيه لابن الجوزي، ص:14.

[2] حسن السقاف، مقدمة كتاب دفع شبه التنزيه لابن الجوزي، ص:12.

الفصل الثاني

المنهج العقدي الأشعري في المغرب

تاريخ دخول العقيدة الأشعرية
إلى المغرب وانتشارها وترسيمها

أعرض هنا في هذا الفصل تاريخ دخول الفكر الأشعري إلى المغرب، والمنهج العقدي الأشعري الذي دخل إليه إبتداء، والذي يعنينا هنا هو المغرب الأقصى؛ لنبين عقيدة المغاربة قديما وحديثا.

✓ العلماء الأوائل الذين أدخلوا العقيدة الأشعرية إلى المغرب

لم تدخل العقيدة الأشعرية إلى المغرب في حياة المؤسس الأول أبي الحسن الأشعري على التحقيق، بل ليست هناك إشارات تشير إلى وجودها حتى في القيروان التي كانت أولى البلدان المغاربية احتضانا للفكر الأشعري، فإننا لا نعثر على إشارات تفيد دخول الفكر الأشعري إلى القيروان خلال حياة المؤسس الأول أبي الحسن الأشعري،[1] ويعتبر أول من نسب إليه القول ببعض الآراء السنية الأشعرية ببلاد المغرب هو دراس بن إسماعيل، ويرجع

---

[1] تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، يوسف احنانا، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2003، ص:51 وما يليها.

تاريخ وفاته إلى سنة:357ه/967م"،[1] و"لعل أول بذرة للأشعرية بالقيروان هي تلك التي حملها إبراهيم بن عبد الله الزبيدي المعروف بالقلانسي (ت359ه أو 361ه/969م أو 971م)"،[2] فـــ"من المستبعد أن يكون للمذهب ذكر في المغرب خلال حياة مؤسسه أبي الحسن الأشعري".[3]

وقد كان بعض طلبة العلم المغاربة يرحلون إلى المشرق يلتمسون العلم من فقهائه وعلمائه، ويأخذون عنهم فقه مالك وعقيدة الأشعري، ومن هؤلاء أبو الحسن القابسي الذي درس على بعض تلاميذ الباقلاني، وأبو عمران الفاسي وهو مغربي، ولد بفاس ورحل إلى المشرق ولما عاد استقر بالقيروان، وهناك أنشأ مدرسة ودرّس بها الفقه المالكي والعقيدة الأشعرية، ويرى عبد الكريم النجار بأن القيروان مع أبي عمران الفاسي بدأ يشع منها الفكر الأشعري على افريقية والأندلس والمغرب؛ بطريق مباشر منه أو عن طريق تلاميذه،[4] كما أن كثيرا من المغاربة تتلمذوا على أبي المعالي الجويني وأخذوا عنه مصنفاته، و"وفد جماعة من تلاميذه من المشارقة على المغرب أيضا أمثال: أبي نصر سهل بن علي بن عثمان النيسابوري (ت531)، فقد تتلمذ على الجويني وقدم إلى المغرب وأقام بسبتة مدة طويلة"،[5] وبهذا يكون دخول العقيدة الأشعرية إلى المغرب الأقصى متأخرا عن زمن أبي الحسن الأشعري وتلميذه الباقلاني، "وكان المرادي أول من أدخل علوم

---

[1] البختي، عقيدة أبي بكر المرادي، ص:35.

[2] المهدي بن تومرت، عبد المجيد النجار، ص:334.

[3] جمال البختي، عقيدة أبي بكر المرادي الحضرمي، ، دار الأمان للنشر والتوزيع، س ط:1433هـ/2012م، ص:35.

[4] فصول في الفكر الإسلامي، دار المسار الإسلامي، بيروت، ط:1، 1992م.

[5] كتاب الأشعرية في المغرب، إبراهيم التهامي، دار قرطبة، ط:1، س:1427ه/2006م، ص:25.

الاعتقادات بالمغرب الأقصى"،[1] وله مؤلف مطبوع، يعتبر أول مؤلف كامل عن العقيدة الأشعرية ألف في عهد الأمير المرابطي أبي بكر بن عمر اللمتوني (ت580ه/1184م)[2]، بعنوان "عقيدة أبي بكر المرادي الحضرمي"، يقول جمال البختي محقق الكتاب: "إن نص "عقيدة المرادي" سيفتح أمام المختصين بابا واسعا لمراجعة الكثير من الأحكام والمواقف في خصوص تاريخ دخول المذهب الأشعري إلى المغرب، وتتبع مسار تطوره"،[3] فالعقيدة الأشعرية إذن لم تدخل المغرب إلى في عصر الدولة المرابطية.

✓ **العقيدة الأشعرية في عهد الدولة المرابطية**

عرفت الفترة الزمنية المرابطية نوعا من الجمود الفكري، و"لم يكن الفكر العقدي في العهد المرابطي أكثر انفتاحا من الفكر الشرعي؛ بل كان متأثرا به في الاكتفاء بالصور التي أثرت عن السلف إمرارا للنصوص على ظواهرها على نحو ما قرره مالك بن أنس في قوله: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)[4]، ورفضا لكل تأويل أو استدلال عقلي على حقائق العقيدة"،[5] وقد منعت الدولة المرابطية تداول علم الكلام بين الناس؛ بل كانوا يكفِّرون كل من يخوض فيه، وفي ذلك يقول عبد الواحد المراكشي: "دان أهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر منه الخوض في شئ من علوم الكلام، وقرر الفقهاء عند أمير

---

[1] التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، ط:2، س:1997، ص:106.
[2] أحمد العبادي مقدمته لكتاب عقيدة أبي بكر المرادي، ص:6.
[3] جمال علال البختي، عقيدة أبي بكر المرادي، ص:11
[4] أقول: مالك قال هذا الكلام لأن السائل كانا عاميا فخاطبه حسب عقله.
[5] عبد المجيد النجار، تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط:2، س ط:1415هـ/1995م، ص:52.

المسلمين [علي بن يوسف] تقبيح علم الكلام وكراهية السلف له وهجرهم من ظهر عليه شئ منه وأنه بدعة في الدين، وربما أدى أكثره إلى اختلال في العقائد"،[1] ورغم ذلك فهذه الفترة هي الفترة التي دخلت فيها العقيدة الأشعرية إلى المغرب الأقصى، بل نجد بعض العلماء الأشاعرة ممن لهم تصانيف في العقيدة الأشعرية مقربين إلى السلطة الحاكمة في الدولة المرابطية، كأبي بكر المرادي الحضرمي، وأبي الحجاج الضرير، والقاضي عياض، مما يدخلنا في اشكالية العلاقة بين الأشاعرة والسلطة المرابطية التي كانت تضطهد المشتغلين بالكلام، وليس هذا مجال البحث لفهم وحل هذه الإشكالية، إذ عرضي هو البحث في الفكر الأشعري المغربي بين "كتاب الإبانة" و"كتاب اللمع"، وأتحدث هنا عن تاريخ دخول العقيدة الأشعرية إلى المغرب.

وذلك "فإن الوثائق المتوفرة تجعل من فترة المرابطين – خصوصا- مرحلة حاسمة في المعرفة المغربية بالعقيدة الأشعرية؛ إذ الثابت أن رجال المدرسة المغربية في هذا العصر الأول كانوا على علم تام بالجدل والمناظرة وأصول الدين والكلام على مذهب أبي الحسن الأشعري، كما أن كتب الأشاعرة في علم الكلام كانت معروفة بين رجال المغرب يتدارسونها –سرا وعلانية- في بعض أنحاء الأندلس والمغرب فضلا عن أفريقية"،[2] وبذلك يكون "المذهب الأشعري قد ظهر في المغرب فعليا قبل ابن تومرت، وأن فترة المرابطين الأولى كانت شاهدة على انتاجات فكرية كلامية رفيعة أُلفت على طريقة الأشاعرة، أسهم فيها علماء

---

[1] المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد ساعد العريان، ومحمد العربي العلمي، ط:7، دار الكتاب البيضاء، س ط:1978، ص:154-255]
[2] أحمد عبادي، في تقديمه لكتاب عقيدة أبي بكر المرادي الحضرمي، ص:6.

المغرب بالكتابة الكلامية الرصينة، وأبدعوا في التصنيف على غرار ما جرى في المشرق".[1]

ورغم أنه في عصر المرابطين لم يكن يسمح فيه بالخوض في علم الكلام، إلا أن هذا لا يعني عدم وجود العقيدة الأشعرية في المغرب الأقصى في عصر المرابطين، بل المقصود هنا أنها لم تكن متداولة عند العموم كما هو الحال بالنسبة للفقه المالكي، بل كان تداولها مقتصرا على الفقهاء وطلبة العلم.

✓ **الدولة الموحدية وترسيم العقيدة الأشعرية**

لم يعرف المغرب ترسيم العقيدة الأشعرية إلا في عهد الدولة الموحدية، "فأهل المغرب لم يكونوا قبل رجوع المهدي من المشرق يعتنقون مذهب الأشعري في العقيدة، وإن يكن بعض علمائهم حصل لهم علم بهذا المذهب"،[2] إلا أن جعل المذهب الأشعري مذهبا رسميا للمغاربة كان في عهد الدولة الموحدية، وعلى يد محمد بن تومرت وخلفائه من بعده، وقد قامت دولة الموحدين على الأساس العقدي، حيث دعوا إلى التوحيد ونبذ التشبيه والتجسيم؛ لذلك سميت دولتهم دولة الموحدين، وكانوا يعتبرون المرابطين مجسمة لأنهم لم يكونوا يؤولون النصوص المتشابهة، وكانوا يتصورونها على ظاهرها، ويثبتون معاني الصفات الإلهية كما وردت في النصوص دون صرفها عن ظاهرها؛ مما يفيد التشبيه والتجسيم في حقه تعالى، وبعد أن رفع الموحدون شعار التوحيد –حسب تصورهم- اجتمع حولهم الناس ونصروا دعوتهم، وكان محمد بن تومرت الملقب بالمهدي إمام

---

[1] المصدر نفسه، ص:6.

[2] المهدي بن تومرت، عبد المجيد النجار، ط:1، س ط:1403هـ/1983م، ص:430.

الموحدين وملهم الثورة الفكرية والسياسية ضد المرابطين، إذ أنه "في المجال العقدي حققت دعوة المهدي الهدف المرسوم، حيث أقلع أهل المغرب عن الفهم الذي كان يعتمد إمرار النصوص على ظواهرها، واعتنقوا فهما جديدا يقوم على تأويل تلك النصوص بما يحقق التنزيه الكامل لله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله، ولذلك وجدت الأشعرية طريقها إلى السيطرة المطلقة على المغرب منذ قيام الدولة الموحدية بسبب موافقة التقرير العقدي لابن تومرت في أغلبه للمذهب الأشعري، وقد قامت رسائله المبسطة الموجزة في العقيدة وخاصة رسالة "المرشدة" بالدور الكبير في ذلك حيث أصبحت مقررا للحفظ والدراسة في كثير من مناطق المغرب على مر الأيام"،[1] وركز ابن تومرت على البعدين النظري والعملي في حياة الناس وسلوكهم، وكان "يهدف إلى أن تكون آراؤه سواء منها العقدية أو الأصولية واقعاً تجري عليه حياة الناس الفكرية والسلوكية، فتتصلح بها تصوراتهم العقدية، وتتحول من تصورات يشوبها التجسيم إلى تصورات تقوم على التوحيد المطلق الموجب لتنزيه الخالق عن كل شبه بالمخلوقات"،[2] و"كان جل ما يدعو إليه علم الاعتقاد على طريق الأشعرية"،[3] وقد استمرت هذه الخطة في التغيير حتى بعد وفاة ابن تومرت، إذ "أن الآراء العقدية لابن تومرت كان لها استمرار بعده، وكان لها تأثير في العقلية المغربية بتفاوت في أهميته عمقا واستمرارا باختلاف الآراء، واختلاف الفئات الاجتماعية والثقافية"،[4] حيث كان خلفاؤه من بعده يحرصون على نشر آراء ابن تومرت ومنهجه العقدي، "وقد

[1]عبد المجيد النجار، تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، ص:139.

[2] المهدي بن تومرت، عبد المجيد النجار، ص:351.

[3] المعجب، المراكشي، تحقيق محمد سعيد العريان، ط: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1963، ص:141.

[4] المهدي بن تومرت، عبد المجيد النجار، ص:401.

أصدر عبد المؤمن مرسوما يأمر فيه عامة الناس بأن يشتغلوا بقراءة مؤلفات المهدي في العقيدة، وضبط لهم في ذلك أقدارا معينة، وتراتيب خاصة يتبعونها"،[1] وهكذا "كان انتشار الأشعرية بالمغرب نتيجة لما بذله المهدي وخلفاؤه من بعده من جهد ضمن خطتهم التربوية الهادفة إلى الإقناع بالرؤى التي رسمها المهدي، وجعلها أساسا يجري عليه الناس تصوراتهم العقدية ويعوضون به ما كان سائدا من تصورات قد يخالطها أحيانا شئ من التشبيه والتجسيم، وقد كان هذا العمل منهم ركنا أساسيا من أركان الدعوة الموحدية الهادفة إلى التغيير الشامل في الفكر والسياسة والاجتماع".[2]

وبالجملة فإن العقيدة الأشعرية لم تدخل إلى المغرب إلى في المرحلة التي ساد فيها منهج أبي المعالي الجويني، حيث كل الشواهد تدل على أن العقيدة الأشعرية دخلت إلى المغرب بعد دخولها إلى القيروان والأندلس، وأن المغرب لم تدخله العقيدة الأشعرية إلا في مرحلة الجويني، مما يفيدنا في معرفة المنهج الذي دخل إلى المغرب والذي أخذه كل المغاربة.

تأثير منهج كتاب "الإرشاد" للجويني في الفكر الأشعري المغربي

إن المنهج المتبع عند أشاعرة المغرب منذ دخول العقيدة الأشعرية إليه؛ لم يكن منهج كتاب الإبانة ذي التوجه الحنبلي

---

[1] المصدر نفسه، ص:443.

[2] المصدر نفسه، ص:442.

المنسوب إلى أبي الحسن الأشعري، ولا منهج الباقلاني القريب من منهج الإبانة فيما يخص الأسماء والصفات؛ بل كان منهج "كتاب الإرشاد" لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، هذا الذي كان "تأثيره ودوره الكبير في نشر الفكر الأشعري بالمغرب، وكان لكتبه رواج كبير به، حيث اعتنى بها علماء المغرب شرحا وتدريسا، وبخاصة كتاب الإرشاد وكتاب البرهان، وافتتن به المغاربة أيما افتتان"،[1] وهذا التأثر نابع من قناعة المغاربة بالمنهج العقدي الذي سيسلكونه، وقد كانوا في البداية بعيدين كل البعد عن المنهج العقلي في الاستدلال على العقائد، إذ "لم تكن الأصداء التي تصلهم (المغاربة) من بلاد المشرق لتمر دون أن تؤثر فيهم وتؤكد لهم مدى بعدهم عن قافلة التطور التي قادها علماء الفكر العقدي في المشرق. مما جعل المثقفين والمتطلعين يرون في "الإرشاد"...المحرك والوسيلة التي ينبغي أن توظَّف من أجل بعث الحياة في الفكر العقدي المغربي، والدفع بعجلته بغية إدراك الركب المشرقي الذي سار أشواطا بعيدة عن طريق التجديد".[2]

لقد احتضن فقهاء المغرب هذا المنهج العقدي الجديد الذي دخل المغرب عن طريق "كتاب الإرشاد" للجويني، الذي كان المحرك الأول للفكر الكلامي والعقدي المغربي، و"مما يؤكد قيمة هذا المؤلف عند المغاربة أن كبار مفكري العقيدة بالمغرب كالإمام السنوسي (ت859ه/1489م) صاحب التواليف الكثيرة في العقائد وإمام المغاربة في هذا العلم بعد السلالجي، وكذلك ابن البناء العددي (ت721ه/1321م) الذي بلغ في العلوم العقلية والقديمة

[1] كتاب الأشعرية في المغرب، إبراهيم التهامي، ص:21.
[2] عثمان السلالجي ومذهبيته الأشعرية، جمال علال البختي، ص:101.

غاية قصوى، ومحمد بن مرزوق الحفيد (ت 842هـ/1438م)، كل هؤلاء الجهابذة يعترفون بفضل هذا الكتاب في تكوينهم ويؤكدون دراستهم له واستفادتهم منه وتأثرهم به في الوجهة العقدية التي اختاروها"[1]. يقول البختي: "إن "إرشاد" الجويني على أهميته وقيمته عند المشارقة لم يكن بالنسبة إليهم بالمؤلف الغريب ولا الباهر لأن المشارقة كانوا معتادين على مثل هذه الكتب الكلامية والآراء العقدية المتطورة، إلا أن الأمر بالنسبة للمغاربة يختلف كثيرا عن المشارقة، فقد كان الجو الفكري والكلامي بالمغرب جوا بسيطا، يستبشع كل غوص في الأمور العقلية المجردة ويكره المنطقيات في علم العقيدة...ولذلك كان ظهور مثل "الإرشاد" في هذه البيئة حدثا غريبا وأمرا جديدا ينبغي أن يقام له ولا يقعد"[2].

و"كتاب الإرشاد...كتاب قصد منه مؤلفه إمام الحرمين بيان العقائد الدينية والاستدلال لها، ثم الدفاع عنها ومناهضة أصحاب المقالات والمذاهب المخالفة للدين"،[3] وقد سلك في هذا المؤلف مسلكا نقليا وعقليا، يقول الجويني في مقدمة كتاب الإرشاد مبينا المنهج الذي سيسلكه: "رأينا أن نسلك مسلكا يشتمل على الأدلة القطعية، والقضايا العقلية"،[4] وهذا المنهج خلاف منهج "كتاب الإبانة" في الاستدلال على العقائد، مما يجعلني أؤكد أن المنهج العقدي المغربي منهج جويني وليس منهج "كتاب الإبانة".

وهناك من يقول إن أول منهج عقدي أشعري عرفه المغرب هو منهج أبي بكر الباقلاني، حيث وفد على افريقية والأندلس بعض تلاميذ الباقلاني، كان يبعثهم لنشر العقيدة الأشعرية على الطريقة

---

[1] عثمان السلالجي ومذهبيته الأشعرية، جمال علال البختي، ص: 102 .
[2] المصدر نفسه، ص: 100.
[3] محمد يوسف موسى، مقدمة التحقيق لكتاب الإرشاد للجويني، حرف: ص.
[4] المصدر نفسه، ص:1.

الباقلانية، كما أن فقهاء المغرب كانوا يرحلون إلى المشرق لطلب العلم، وكانوا يلتقون ببعض فقهاء الأشاعرة ويأخذون عنهم بعض العقيدة الأشعرية فضلا عن الفقه المالكي الذي كان المقصد الأول من الرحلة العلمية التي كان يقوم بها المغاربة إلى بلاد المشرق، ومن بين فقهاء الأشاعرة الذين التقى بهم طلبة العلم المغاربة وأخذوا عنهم الفقه وأصوله وبعض العقيدة الأشعرية آن ذاك؛ نجد أبا بكر الباقلاني الذي كان له بعض التأثير على بعض فقهاء الغرب الإسلامي، "فقد قام الباقلاني لممارسة تأثيره في الفقهاء المغاربة المنتقلين إلى المشرق"،[1] لكن هذا التأثير لم يتجاوز أفرادا قلائل وكان ذلك في فترة الاعتقاد الفردي، ثم إن أغلب المغاربة الذين رحلوا إلى المشرق لطلب العلم واستفادتهم من العقيدة الأشعرية في هذه الفترة الباقلانية إنما كان استقرارهم بالقيروان بعد عودتهم من المشرق؛ وقد كان دخول العقيدة الأشعرية إلى المغرب الأقصى متأخرا عن هذا التاريخ، هذا على اعتبار أن هؤلاء كانت طريقتهم الاستدلالية في العقيدة طريقة باقلانية، فليس هناك ما يؤكد ذلك إلا بعض الفرضيات، ولعلهم أخذوا عنه الفقه إبتداء كما هو دأب المغاربة في طلب العلم عن المشارقة، وقد قيل إن الباقلاني كان مالكيا، إلا أن بعض الباحثين يقولون إنه كان حنبليا، حيث يذكر حسن السقاف: "أن الباقلاني كان حنبلي المذهب والمشرب على التحقيق، وكان يكتب على الفتاوى التي يكتبها: (كتبه محمد بن الطيب الحنبلي) كما في "البداية والنهاية"(350/11)...(و) أن الباقلاني كان صديقا حميما للحنابلة ولرئيسهم في بغداد"،[2] ويقول ابن عساكر الدمشقي: "وكان بينه وبين جماعة من الحنابلة مخالطة ومؤانسة واجتماع في سماع

---

[1] جمال البختي، مقدمة التحقيق لكتاب عقيدة أبي بكر المرادي الحضرمي، ص:36.
[2] نقد كتاب العلو للذهبي، حسن السقاف، ص: 513.

الحديث وروايته ومجالسه، وقد رأيت سماعه في عدة من الأجزاء والمجالس بخط الحافظ أبي الفتح بن أبي الفوارس"،[1] وربما كان الرجل متأرجحا بين المذهبين المالكي والحنبلي، أو أنه كان يخشى سطوة الحنابلة آن ذاك؛ حيث عرفت هذه الفترة استعمال الحنابلة العنف ضد خصومهم من الفرق الأخرى وخاصة المتكلمين؛ لذلك كان يتقرب منهم ويتودد إليهم مما يفسر لنا إقدام الباقلاني على إثبات بعض الصفات العقدية على ظاهرها كما في كتابه "التمهيد"، ولذلك يمكن أن نشك في كونه أثَّر في المغاربة من جهة العقيدة، والدليل على أخذ المغاربة عنه الفقه أنهم كانوا يرسلون إليه يستفتونه في النوازل التي تحل بهم، فما علاقة المذهب الأشعري بالنوازل الفقهية؟

ويمكن أن نستنتج من هذا كله أن المغاربة كانوا يذهبون إلى المشرق طلبا للفقه المالكي ابتداءً، أما العقيدة الأشعرية فكانت عن طريق التزامن مع وجودهم بالمشرق واحتكاكهم بالفقهاء الأشاعرة هنالك، على اعتبار أن هذه الفترة بالذات بدأت تعرف صعود المذهب الأشعري ليصبح فيما بعد مذهبا للجمهور.

يمكنني القول إنه لم يشهد دليل على أن فقهاء المغرب الأقصى تبنوا العقيدة الأشعرية على طريقة "الإبانة" أو على طريقة الباقلاني؛ حيث أن كل الوثائق والشواهد تدل على أن العقيدة الأشعرية دخلت المغرب بعد دخولها القيروان والأندلس، وأن المغرب لم تدخله العقيدة الأشعرية إلا في المرحلة الجوينية، وكان قد تتلمذ على هذا الأخير كثير من المغاربة وأخذوا عنه مصنفاته، و"وفد جماعة من تلاميذه من المشارقة على المغرب أيضا أمثال:

---

[1] تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري، ابن عساكر الدمشقي، تحقيق محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، ط:1، ص:302.

أبي نصر سهل بن علي بن عثمان النيسابوري (ت531)، فقد تتلمذ على الجويني وقدم إلى المغرب وأقام بسبتة مدة طويلة".[1]

ومن أبرز العلماء الأشاعرة في هذه الفترة من الأندلسيين: محمد بن سعيد ويكنى أبا عبد الله (ت بعد 456ه/1063م)، وهو من أهل ميورقة، رحل إلى المشرق ودرس على أبي المعالي الجويني بمكة، ومنهم: محمد بن إبراهيم بن موسى بن عبد السلام الأنصاري المكنى بابن شق الليل الطليطلي (ت 455ه/1063م)، وكان إماما متكلما وفقيها.

ومنهم "أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي (543ه/1148م) فقد عاد من رحلته إلى المشرق أواخر القرن الخامس إلى الأندلس بأشعرية عميقة غزيرة تلقاها على أبي حامد الغزالي، وألف على طريقة هذه العقيدة كتابه الشهير "العواصم من القواصم"، إلى جانب كتبه الأخرى...وكان له بذلك دور فعال في نشر الأشعرية بالأندلس والمغرب".[2]

ومن أهل افريقة المصنفين ضمن المرحلة الجوينية: عبد الحق بن محمد بن هارون التميمي القرشي (ت 460ه/1067م)، لقي أبا المعالي الجويني، قال القاضي عياض: "فباحثه عن أشياء، وسأله عن مسائل أجابه عنها أبو المعالي، وهي مؤلفة مشهورة في أيدي الناس"،[3] وأبو مروان عبد الله بن مالك القرطبي (ت 460ه/1067م)، وحاتم بن محمد بن عبد الرحمن (ت 469ه/1076م)، ومن أشهرهم أبو الوليد الباجي

[1] كتاب الأشاعرة في المغرب، ص:25.
[2] المهدي بن تومرت، عبد المجيد النجار، ص:438-439.
[3] ترتيب المدارك، تحقيق: محمد بنشريفة، مطبعة فضالة، المحمدية، ط:2، س ط:1982، ج:8، ص:72.

(ت474ه/1081م)، وقد رحل إلى المشرق ودرس على أبي ذر الهروي في الحجاز، وكذلك تلميذ أبي عمران الفاسي أبو محمد عبد الحميد بن محمد الملقب بابن الصائغ (ت 486ه/1093م) هؤلاء هم الأعلام الأشاعرة في هذه الفترة، "وكان المرادي أول من أدخل علوم الاعتقادات بالمغرب الأقصى"،[1] كما ذكرت سابقا، ومن خلال مؤلفه "عقيدة أبي بكر المرادي الحضرمي" نستطيع أن نحكم على المنهج الذي كان عليه المغاربة في هذه الفترة التي عرفت دخول المذهب الأشعري إلى المغرب الأقصى، حيث يقول البختي: "إن نص "عقيدة المرادي" سيفتح أمام المختصين بابا واسعا لمراجعة الكثير من الأحكام والمواقف في خصوص تاريخ دخول المذهب الأشعري إلى المغرب، وتتبع مسار تطوره، فالمعطيات والمضامين –فضلا عن المنهج المعتمد- في هذه الوثيقة تدفع دفعا نحو تأكيد حقيقة جديدة مفادها أن الاطلاع التام على المذهب، والتأليف فيه (على طريقة البغدادي والجويني ومن جاء بعدهما) لم يكن متأخرا –كما كان يُعتقد- بل كان في فترات متقدمة ومتزامنة مع التطور الذي شهده البحث العقدي في المشرق".[2]

ولما كان المنهج العقدي الأشعري لأبي بكر المرادي الحضرمي في هذا الكتاب هو نفسه منهج أبي المعالي الجويني؛ اقتضى أن تكون طريقة فقهاء المغرب بعده ومنهجهم في الاستدلال على العقائد الإيمانية هي نفسها طريقة الجويني ومنهجه، هذا ويمكن اعتبار الجويني هو الذي أحدث الطفرة في المذهب الأشعري على مستوى المنهج بالانتقال من الطور الأول

[1] التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، ط:2، س:1997، ص:106.
[2] جمال علال البختي، في تصديره لكتاب عقيدة أبي بكر المرادي الحضرمي ، ص:11.

إلى الطور الثاني داخل المذهب؛ حيث كان الجويني المؤسس للمدرسة الثانية في المذهب الأشعري؛ وإن كان سيرا على طريق "كتاب اللمع" الذي يعتبر المرجع والمؤطر للمذهب الأشعري سواء في طوره الأول أو الثاني، فهذا ما يؤكده لنا البحث التاريخي عند الربط بين العناصر والنظر في العلاقات، وهذا المنهج الآخير هو الذي تطور عليه مذهب الأشاعرة فيما بعد وصنفوا فيه مصنفات عديدة في علم الكلام والعقيدة.

ومن أدلة تأثر المغاربة بكتاب الإرشاد؛ أعرض بعض الملاحظات عن العبارات التي استفدتها من خلال مراجعتي لكتاب الإرشاد للجويني وكتب فقهاء المغرب المؤثرين في العقيدة الأشعرية، حيث وجدتهم يبتدئون مؤلفاتهم في العقيدة، وتنصيصهم على المسائل العقدية، بعبارة الاسترشاد، مثل: "إعلم أرشدنا الله وإياك" كما في "المرشدة"[1] لمحمد ابن تومرت، و"البرهانية"[2] لأبي عمرو عثمان السلالجي، وهي في كتاب "الإرشاد" للجويني بعبارة "إعلموا أرشدكم الله"،[3] وهذا مما يدل على أن منهج المغاربة في العقيدة الأشعرية متأثر بكتاب "الإرشاد" للجويني إلى درجة كبيرة، وأيضا فإن إسم "المرشدة" لابن تومرت مُستلهَم من إسم كتاب "الإرشاد" للجويني، و"البرهانية" إسم مستلهم من "كتاب البرهان" للجويني أيضا بحسب رأيي.

والملاحظة الأخرى تكمن في عبارة "الموحدين" التي أطلقها محمد بن تومرت على أتباعه، فإني أستطيع أن أقول إنها مأخوذة

---

[1] شرح مرشدة محمد ابن تومرت، تحقيق يوسف احنانا، دار الغرب الإسلامي، ط:1، س ط:1993، ص: 9.

[2]العقيدة البرهانية للسلالجي، تحقيق نزار حمادي، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط:1، س ط:1429هـ/2008م، ص: 23. وكتاب عثمان السلالجي ومذهبيته الأشعرية للبختي، ص:297.

[3] الإرشاد، الجويني، ص: 17.

من كتاب "الإرشاد" أيضا، فالجويني يستعمل عبارة "الموحدين" بكثرة في هذا الكتاب، كقوله: "إعلموا أرشدكم الله أن الموحدين...والجسم في اصطلاح الموحدين..."،[1] وقد كانت دعوة ابن تومرت دعوة عقدية؛ حيث كان يدعو إلى التنزيه في العقيدة وترك التجسيم والتشبيه، وكان يسمي المرابطين بـــ"المجسمين"، كل هذه المعطيات تبين لنا مدى تأثر المغاربة بكتاب "الإرشاد" للجويني، وأن المنهج الذي سار عليه المغاربة منذ دخول العقيدة الأشعرية إلى المغرب هو منهج أبي المعالي الجويني، وهو منهج عقلي نظري يدعو إلى التأويل.

المنهج التأويلي لكتاب الإرشاد

لقد أسلفت الذكر في أول هذا البحث؛ وقلتُ إن "كتاب الإرشاد" كان له الفضل الأكبر في التأثير على الفكر الأشعري المغربي، ويعتبر هذا الكتاب المنهج الحقيقي الذي سار عليه المغاربة في تعاطيهم مع البحث العقدي الأشعري، فهذا المنهج منهج عقلي تأويلي يُعمِل النظر في العقائد، ويوجبه على المكلف، حيث يقول الجويني: "أول ما يجب على العاقل البالغ، باستكمال سن البلوغ أو الحلم شرعاً، القصد إلى النظر الصحيح"،[2] وهو واجب عنده بالشرع، إذ يقول: "النظر الموصل إلى المعارف واجب، ومدرك وجوبه الشرع"،[3] بخلاف منهج "كتاب الإبانة" الذي يقول بدليل

---

[1] المصدر نفسه، ص:17.
[2] المصدر نفسه، ص:3.
[3] المصدر نفسه، ص:8.

الفطرة ولا يجوِّز النظرَ العقلي في العقائد الإيمانية، ودليل الفطرة منهج حنبلي معروف.

وجوب النظر ينتج عنه ضرورةً التأويلُ عند وجود النصوص المتشابهة، فكل الذين أوجبوا النظر في العقائد الإيمانية كانوا يقولون يالتأويل، فوجوب النظر والتأويل متلازمان، لذلك نجد فرقا منهجيا بين "كتاب الإرشاد" و"كتاب الإبانة" في اثبات العقائد، فالأول منهج عقلي يوجب النظر وينزع إلى التأويل، والثاني منهج نصوصي يمنع استعمال النظر والتأويل، ويثبت النصوص على ظاهرها دون اعمال العقل في ذلك؛ ولهذا كان الاختلاف في العقائد بين الكتابين –خاصة في الأسماء والصفات الإلهية- كما سأبين.

✓ **نماذج من عقيدة التنزيه في كتاب الإرشاد**

هذه بعض النماذج من تأويل الصفات الإلهية في "كتاب الإرشاد"، حيث نجد الجويني يؤول الأسماء والصفات الإلهية التي يوحي ظاهرها بالتشبيه والتجسيم؛ بينما نجد العكس في "كتاب الإبانة" الذي يثبت الصفات على ظاهرها كما هي دون تأويل، وإن أفادت التشبيه والتجسيم.

في "كتاب الإرشاد" ينفي الجويني الجهة والعلو المكاني عن الله سبحانه وتعالى، وفي ذلك يقول: "ومذهب أهل الحق قاطبة أن الله سبحانه وتعالى يتعالى عن التحيز والتخصص بالجهات".[1] بينما يثبت الأشعري في "كتاب الإبانة" الجهة والعلو المكاني لله؛ إذ يقول: "ومن دعاء أهل الإسلام جميعا إذا هم رغبوا إلى الله تعالى

---

[1] الإرشاد للجويني، ص:39.

في الأمر النازل بهم يقولون جميعا: (يا ساكن السماء)، ومن خلفهم جميعا: (لا والذي احتجب بسبع سموات)".[1]

وفي مسألة الاستواء نجد الجويني يؤول معنى الاستواء بالقهر والغلبة والاستعلاء، وأن حمل الاستواء على الاستقرار موقع في التجسيم، وذلك في تأويله قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[طه:5]، حيث قال: "لم يمتنع منا حمل الاستواء على القهر والغلبة، وذلك شائع في اللغة، إذ العرب تقول استوى فلان على الممالك إذا احتوى على مقاليد الملك واستعلى على الرقاب...إن رام السائل إجراء الاستواء على ما ينبئ عنه ظاهر اللسان، وهو الاستقرار، فهو التزام للتجسيم".[2] وهذا مخالف لما في الإبانة حيث ذهب الأشعري إلى أن الله سبحانه مستقر على العرش بذاته، فيقول: "ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء، لأن الله تعالى مستو على العرش الذي هو فوق السماء"،[3] ويقول: "إن الله تعالى على عرشه في السماء".[4]

وفي تأويل صفات اليدين والعينين والوجه، يقول الجويني: "ذهب بعض أئمتنا إلى أن اليدين والعينين والوجه صفات ثابتة للرب تعالى، والسبيل إلى إثباتها السمع دون قضية العقل. والذي يصح عندنا حمل اليدين على القدرة، وحمل العينين على البصر، وحمل الوجه على الوجود".[5] في حين يثبت الأشعري اليدين والعينين لله حقيقة فيقول: "وأن له سبحانه يدين بلا كيف، كما قال سبحانه: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص:75]، وكما قال: ﴿يَدَاهُ

---

[1] الإبانة عن أصول الديانة، ج:2، ص:115.
[2] الإرشاد للجويني، ص: 40-41.
[3] الإبانة، ج:2، ص:107.
[4] المصدر نفسه، ص:119.
[5] الإرشاد، ص:155.

مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة:64]"،[1] "وإن له سبحانه عينين بلا كيف، كما قال سبحانه: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[القمر:14]"،[2] "وإن له سبحانه وجها (بلا كيف) كما قال ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[الرحمن:27]"،[3] و"قال الله تبارك وتعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[القصص:88]...فأخبر أن له (سبحانه) وجها لا يفنى ولا يلحقه الهلاك".[4] وكل هذه المعاني التي ذكرها الأشعري في "كتاب الإبانة" تفيد التشبيه والتجسيم باثباته لمعانيها.

وقول الجويني: "ذهب بعض أئمتنا إلى أن اليدين والعينين والوجه صفات ثابتة للرب تعالى" لعله يقصد به "الباقلاني" فهو المعروف عنه إثبات هذه الصفات في كتابه "التمهيد"، ولذلك نسب إليه بعضهم كتاب "الإبانة"، يقول حسن السقاف: "إن هذه الكتب المنسوبة إلى أبي الحسن الأشعري كالإبانة...وأمثالها ليست من تصنيف أبي الحسن الأشعري بل هي من تصنيف أبي بكر الباقلاني..."،[5] و"إن الباقلاني كان حنبلي المذهب والمشرب على التحقيق...(و) إن الباقلاني كان صديقا حميما للحنابلة ولرئيسهم في بغداد...(و) إن الباقلاني هو المعروف بالاسترسال في ذكر الفرق وبيان مقالاتها وكتابه التمهيد من شواهد ذلك".[6] والمسألة هنا تحتاج إلى بحث مستقل وليس هذا مجال البحث فيه.

وفي حديث النزول المروي عن رسول الله (ﷺ) (ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة جمعة ويقول: هل من تائب فأتوب

---

[1] الإبانة، ج:2، ص:22.
[2] المصدر نفسه، ص:22.
[3] المصدر نفسه، ص:22.
[4] المصدر نفسه، ص:120.
[5] نقد كتاب العلو للذهبي، حسن السقاف، ص:512-513.
[6] المصدر نفسه، ص:512-513.

عليه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من داع فأجيب له)،[1] فقد أوله الجويني بنزول الملائكة إذ يقول: "والوجه حمل النزول، وإن كان مضافاً إلى الله تعالى، على نزول ملائكته المقربين، وذلك سائغ غير بعيد".[2] وفي الإبانة للأشعري يثبت نزول الله سبحانه من الأعلى إلى الأسفل، من العرش الذي فوق سبع سموات إلى السماء الدنيا.[3] تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وفي مسألة لفظ القرآن يرى الجويني أنه حادث؛ وفي ذلك يقول إن "كلام الله تعالى مكتوب في المصاحف، مخطوط في الصدور، وليس حالاًّ في مصحف، ولا قائما بقلب. والكتابة قد يعبر بها عن حركات الكاتب، وقد يعبر بها عن الحروف المرسومة، والأسطر المرقومة، وكلها حوادث".[4] بينما يذهب الأشعري في الإبانة؛ إلى أن القرآن بكامله غير مخلوق، حيث يقول: "فإن قال قائل: حدثونا عن اللفظ بالقرآن، كيف تقولون فيه؟ قيل له: القرآن يُقرأ في الحقيقة ويُتلى ولا يجوز أن يقال يُلفظ به، لأن القائل لا يجوز له أن يقول: إن كلام الله ملفوظ به، لأن العرب إذا قال قائلهم لفظت باللقمة من فمي فمعناه رميت بها، وكلام الله تعالى لا يقال يُلفظ به، وإنما يُقال يُقرأ ويُتلى، ويُكتب ويُحفظ. وإنما قال قوم لفظنا بالقرآن ليثبتوا أنه مخلوق، ويزينوا بدعتهم، وقولهم بخلقه ويدلسوا كفرهم على من لم يقف على معناهم، فلما وقفنا على معناهم أنكرنا قولهم، وكذا لا يجوز أن يُقال؛ إن شيئا من القرآن مخلوق لأن القرآن بكامله غير مخلوق".[5]

---

[1] ورد في كتب الصحاح بروايات وألفاظ مختلفة.
[2] الإرشاد للجويني، ص: 161.
[3] كتاب الإبانة، ج:2، ص:110 وما بعدها.
[4] الإرشاد للجويني، ص: 132.
[5] الإبانة، ج:2، ص:101.

لقد كان الجويني ينزع إلى التأويل عند ظواهر النصوص، ويرى الإعراض عنه عند وجود المتشابهات يوقع في اللبس والإيهام والزلل في الاعتقاد؛ حيث يقول: "والإعراض عن التأويل حذرا من مواقعة محذور في الاعتقاد يجر إلى اللبس والإيهام، واستزلال العوام، وتطريق الشبهات إلى أصول الدين، وتعريض بعض كتاب الله تعالى لرجم الظنون".[1]

هذه جملة الأقوال فيما يخص كتاب الإرشاد وتأثيره على الفكر الأشعري المغربي، وهناك نماذج من تآليف الفقهاء المغاربة ومتونهم من أبي بكر المرادي الحضرمي إلى عبد الواحد بن عاشر تبين حقيقة تأثر فقهاء المغرب بالمنهج الجويني في الاعتقاد، وسأتركه لبحث آخر مستقل، ضمن سلسلة بحوث عقدية تتناول موضوع الفكر الأشعري المغربي بين "كتاب الإبانة" و"كتاب اللمع".

منهج الاستدلال العقدي عند أشاعرة المغرب

ذكرت أن منهج الاستدلال العقدي عند أشاعرة المغرب على التحقيق هو منهج الجويني في "كتاب الإرشاد"، وأنه منهج تأويلي بخلاف منهج "كتاب الإبانة" ذي التوجه الحنبلي الذي يثبت الصفات الإلهية على ظاهرها، مما يفيد التشبيه والتجسيم، ويكفر أهل القبلة من المسلمين، ويدعو إلى سفك دمائهم، وذكرت مدى خطورة تبني هذا المنهج في المراكز والمؤسسات العلمية المغربية، وخطورة فكر هذا الكتاب بالأخص على عقيدة المغاربة

[1] الإرشاد، ص: 42.

ومستقبلهم الحضاري؛ أعني "كتاب الإبانة" المنسوب إلى أبي الحسن الأشعري، وسأبرِزُ هنا نماذج من كتابات العلماء الأشاعرة المغاربة ومنهجهم الاستدلالي العقدي، وكيف تأثروا بمنهج "كتاب الإرشاد" للجويني، ومدى تأثيرهم أيضا في الفكر الأشعري المغربي من خلال مؤلفاتهم التي تركوها والتي وصلت إلينا، وقد اخترت أهم هؤلاء العلماء الأشاعرة الذين أثروا في الفكر الأشعري المغربي لأتحدث عن منهجهم الاستدلالي العقدي الأشعري، ومن هؤلاء الرموز:

- ✓ **أبو بكر المرادي الحضرمي**

هو أبو بكر المرادي الحضرمي (ت 489هـ/1094م)، ولد بالقيروان وارتحل إلى الأندلس، ثم انتقل بعد ذلك إلى أغمات حيث أُلحِقَ بحاشية أمير المرابطين أبي بكر بن عمر اللمتوني التي كانت تضم فقهاء وعلماء، "وكان المرادي أول من أدخل علوم الاعتقادات بالمغرب الأقصى"[1] وله مؤلف مطبوع، يعتبر أول مؤلف كامل عن العقيدة الأشعرية، ألف في عهد الأمير المرابطي أبي بكر بن عمر اللمتوني (ت580هـ/1184م)"،[2] ومن خلاله نستطيع أن نتعرف على المنهج الأشعري الذي دخل المغرب الأقصى في هذا العهد، يقول جمال البختي: "إن نص "عقيدة المرادي" سيفتح أمام المختصين بابا واسعا لمراجعة الكثير من الأحكام والمواقف في خصوص تاريخ دخول المذهب الأشعري إلى المغرب، وتتبع مسار تطوره، فالمعطيات والمضامين –فضلا عن المنهج المعتمد- في هذه الوثيقة تدفع دفعا نحو تأكيد حقيقة

[1] التشوف إلى رجال التصوف، ص:106.
[2] أحمد عبادي في تقديمه لكتاب عقيدة المرادي الحضرمي للبختي، ص:6.

جديدة مفادها أن الاطلاع التام على المذهب، والتأليف فيه (على طريقة البغدادي والجويني ومن جاء بعدهما) لم يكن متأخرا –كما كان يُعتقد- بل كان في فترات متقدمة ومتزامنة مع التطور الذي شهده البحث العقدي في المشرق".[1] و"بالنظر إلى التطور الذي عرفه المذهب الأشعري مضمونا ومنهجا يتبدى أن "عقيدة المرادي" توافق كثيرا المعطيات المتوفرة عن طبيعة القضايا وطريقة الاستدلال ومنهج البحث في الفكر الأشعري خلال النصف الثاني من القرن الرابع والنصف الأول من الخامس في الغرب الإسلامي وفي افريقية والأندلس"،[2] وهذه هي الفترة التي ساد فيها منهج الجويني في المشرق والمغرب.

- المنهج التأويلي عند المرادي

1) نفي التشبيه: نجد المرادي في الكتاب يؤول الصفات الإلهية التي يوحي ظاهرها بالتشبيه، ويروم إلى عقيدة التنزيه، يقول المرادي: "وهو –سبحانه- لا يشبه خلقه؛ لأن المثلين ما ساد أحدهما مسدَّ صاحبه، وناب مَنابَهُ. فلو أشبهه لقامت صفات الحوادث به، ودلت على حدوثه. وقد قام الدليل على قدمه، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:11]".[3]

2) تنزيهه تعالى عن الجسمية: يقول المرادي: "بعض الأئمة أثبت لله سبحانه صفات خمسا يقتضيها عندهم السمع، وهي: 1- الوجه

[1] جمال علال البختي، في تصديره للكتاب نفسه، ص:11.
[2] المصدر نفسه، ص:139.
[3] عقيدة أبي بكر المرادي الحضرمي، ص:197.

3-2- واليدان

5-4- والعينان

وقد نطق بأسمائها القرآن: فقال تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[القمر:14]، وقال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾[طه:39]، ونحن نقول: المراد بذلك البصر الذي أثبت الله تعالى بقوله: ﴿وأن الله سميع بصير﴾ وكذلك إفراده في آية وجمعه في آية أخرى تعظيما له.

وأما قوله لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص:75]، فاليدان قد تكون صلة، فيرجع المعنى إلى النفس كما قال تعال: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾[الحج:10]، معناه بما قدمتم، والعرب تضيف الأفعال إلى اليدين لما كانت تقع بها بينهم غالبا، ويجوز أن تكون بمعنى القدرة، وتُثنى وتُجمع تعظيما لها كما قال تعال: ﴿خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾[يس:71]، فسمى القدرة يدا وجمعها تعظيما...

فأما الوجه فإنه يكون أيضا بمعنى النفس كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾[الإنسان:9]. وقد أُجمع على أن الله سبحانه لا تثبت له صفة بألفاظ يسوغ منها الاجتهاد، فكان بذلك الذي قلنا أظهر".[1] وهذا خلاف ما في "كتاب الإبانة" من إثبات للصفات على ظاهرها دون تأويلها، حيث يثبت صاحب الإبانة لله العينين واليدين والوجه.

تأويله الاستواء على العرش، يقول المرادي: "اعلم أنه لا يُسأل عن الله سبحانه بكيف، ولا بما، ولا بمتى، ولا بأين.

---

[1] المصدر نفسه، ص:234.

ومعنى استوائه على عرشه أنه أرفع قدرا من مخلوقاته، والمخلوقات كلها من دونه. والاستواء بمعنى العلو معروف في اللغة، ولا يجوز أن يكون العرش مكانا له؛ لأن المتمكن إنما يكون بقدر مكانه، والخالق سبحانه لا يُقاس بشئ من خلقه، لأنه ليس بجسم من الأجسام ولا جرم من الأجرام، فلا يوصف بالقصر والطول، ولا بالتمكن والحلول، ولا تكنُفه الجهات، ولا تحيط به المخلوقات؛ لأنه تعالى قد كان ولا مكان، ولم يتغير الآن عما كان".[1]

3) إثبات الكلام النفسي: يقول المرادي: "كلام الله سبحانه قديم قائم بذاته، وهو كلام واحد غير متعدد في نفسه، وهو أمر ونهي، وخبر عن مخبَراته، ولا مِثْل له من كلام خلقه...وهو خارج عن جميع اللغات ومتقدس عن الحروف والأصوات...والموصوف بالقدم هو الكلام القائم بذاته".[2] هو بمعنى الكلام النفسي الذي يقول به الأشاعرة، وهذا خلاف كتاب الإبانة الذي يقول بقدم القرآن لفظا ومعنى.

الأصل عند المرادي هو تأويل المتشابهات حتى لا تؤثر في عقيدة الناس، إذ يقول: "واعلم أن الآي المتشابهة والأحاديث المشكلة يجب إخراجها عن ظواهرها وحملها على غير ذلك من محتملاتها، ويرجع ذلك إلى المقصود من معانيها...وتأويلها أولى؛ لئلا تُسرع إلى ظواهرها من التجسيم قلوبُ الجهال وألسنة أهل الضلال".[3] هذا هو اعتقاد أبي بكر المرادي في الله تعالى وهو على منهج "كتاب اللمع" في الاستدلال.

---

[1] المصدر نفسه، ص:245.
[2] المصدر نفسه، ص:227.
[3] المصدر نفسه، ص:261.

✓ **أبو الحجاج يوسف الضرير**

هو أبو الحجاج يوسف بن موسى الملقب بالضرير (ت520هـ)[1]، "كان من المشتغلين بعلم الكلام على مذهب الأشعرية ونظَّارِ أهل السنة"[2] تتلمذ على أبي بكر المرادي الحضرمي، "وكان مختصا به"[3] يقول عنه القاضي عياض وهو تلميذه: "قرأت عليه أرجوزته الصغرى التي ألف في الاعتقادات، وحدثني بالكبرى، وبكتاب التجريد لأبي بكر المرادي، وأجازني في أرجوزته الكبرى، وجميع تواليفه، ورواياته، منها تآليف الفقيه أبي بكر المرادي، شيخه، وعنه كان أكثر أخذه"[4] وقد خلَف الضريرُ أبا بكر المرادي في علوم الاعتقادات بعد وفاته[5] وله منظومة بعنوان "التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد" "وهذه مختصرة من كتاب الإرشاد لأبي المعالي (الجويني)"،[6] وهو دليل قاطع على أن منهج الضرير هو منهج "كتاب الإرشاد" للجويني.

- المنهج العقلي التأويلي عند الضرير

أبين هذا من خلال منظومته "التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد"

1) قوله بالاستدلال العقلي:

---

[1] كتاب الصلة لابن بشكوال، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري-القاهرة، دار الكتاب اللبناني-بيروت، ط:1، س ط:1410هـ/1989م، ج:3، ص:978.

[2] الغنية للقاضي عياض، تحقيق: ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط:1، س ط:1402هـ/1982م، ص:226.

[3] كتاب الصلة لابن بشكوال، ج:3، ص:978.

[4] الغنية للقاضي عياض، ص:226.

[5] التشوف إلى رجال التصوف، ص:106.

[6] السكوني شارح منظومة التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد، اللوحة الأولى من الشرح المخطوط، نقلا عن مقدمة محقق التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد لأبي الحجاج يوسف الضرير، تحقيق: سمير قوبيع-محمد العمراني-نور الدينشعيبي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المملكة المغربية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط:1، 1435هـ/2014م، ص:28.

فَخَيْرُ مــا يُطْلَبُ بـالدَّلِيلِ *** مَعْرِفَـةُ الإلَـهِ والرَّسُولِ

لِأَنَهَـا تَشْرُفُ بِـالمعْلُومِ *** وَالحَظِّ عِنْـدَ الملِكِ القَيُّومِ

وَأَمَرَ اللهُ بِـــالاِعْتِبَـــارِ *** وَبِـــالتَّفَكُّرِ وَالاِسْتِبْصَـــارِ

والمَيْزِ لِلْحَقِّ مِنَ الْأَدْيَانِ *** وَإِنَّمَـا يَمْتَازُ بِالْبُرْهَـــانِ[1]

2) قوله بوجوب النظر:

والنَّظَرُ اسْمٌ لِمَعَانٍ أَرْبَعَهْ *** تَضَمَّنَ الكِتَابُ ذَاكَ أَجْمَعَهْ

يَكُونُ لِلرُّؤْيَـةِ بِالْأَبْصَارِ *** وَلِلتَّـرَقُّـبِ وَالِانْتِظَـــارِ

وَلِلْجَنَـــانِ وَلِلِاسْتِدْلَالِ***وَهُوَ مَـا يُقْصَدُ بِالْمَقَـــالِ [2]

3) طرق الاستدلال عنده تكون بالكتاب والسنة والإجماع والعقل:

وَيُسْتَدَلُّ بِالكِتَـــابِ وَالسُّنَنْ *** وَحُجَّةُ الْإِجْمَاعِ وَالرَّأْيِ الْحَسَنْ

عَلَى الْقَضَايَا كُلِّهَا السَّمْعِيَّهْ *** وَبَعْضِ مَـــا هُوَ مِـنَ الْعَقْلِيَّـهْ[3]

4) يقرر المبحث الطبيعي في مسألة حدوث العالم:

إِنَّ الدَّلِيلَ فِي حُدُوثِ العَـالَمِ *** لِكُلِّ ذِي فَهْمٍ صَحِيحٍ سَـالِمِ

حَرَكَـــةٌ يَعْقُبُـا سُكُـــونُ *** يُـــعْدَمُ هَذَا حِينَ ذَا يَكُـونُ

....

وَلَهُمَـــا بِـالْجَوْهَرِ اخْتِلَالُ *** وَكَوْنُهُ دُونَهُمَـا مُحَـــــالُ

فَلَمْ يَـكُنْ وُجُودُهُ قَبْلَهُمَـــــا *** فَكَانَ حَادِثاً إِذاً مِثْلَهُمَـــــا

---

[1] أبو الحجاج يوسف الضرير، التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد، ص:48.
[2] المصدر نفسه، ص:72-73.
[3] المصدر نفسه، ص:78.

وَسَائِرُ الْأَعْرَاضِ كَالْأَلْوَانِ *** فِيمَا فَرَضْنَاهُ مِنَ الْبُرْهَانِ[1]

5) عقيدة التنزيه:

وَيَـسْتَحِيلُ أَنْ تَكُونَ ذَاتُـــهْ *** كَذَاتِ مَخْلُوقٍ كَذَا صِفَـاتُـهْ

وَيَـسْتَحِيلُ الْكَوْنُ فِي مَكَانِ *** عَلَيْـهِ إِذْ لَيْسَ بِذِي أَكْوَانِ

وَلَا لَــهُ حَدٌّ وَلَا مِثَـالُ *** وَلَا تَـغَيُّـرٌ وَلَا زَوَالُ

....

وَوَصْفُهُ فِي الْوَحْيِ بِـالْيَدَيْنِ *** وَالْوَجْـهِ وَالنُّـزُولِ وَالْعَيْنَيْـنِ

وَالِاسْتِوَاءِ وَالْمَجِيءِ لِلْأُمَـمْ *** وَأَنَّـهُ يَضَعُ فِي النَّـارِ الْقَدَمْ

لِلْكُلِّ تَأْوِيلٌ صَحِيحٌ فِي اللُّغَهْ *** وَالْعَقْلِ فَاعْتَقِدْهُ حَتَّى تَبْلُغَـهْ[2]

ثم يسترسل في ذكر الصفات وما ورد في الأخبار من المتشابهات فيؤولها إلى معانيها الحقيقية تأويلا لغويا وعقليا[3] بخلاف منهج "كتاب الإبانة" في إثبات الصفات على ظاهرها، ولولا خشية الإطالة لأتيت بنماذج كثيرة من هذا النوع الذي يوضح منهجية الضرير وتأثره بكتاب الإرشاد للجويني، ويكفي ذكر هذا فقط؛ لأن غايتي هو الاستشهاد فقط وليس دراسة كل فكر الضرير فليراجع في "كتاب التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد" فهو مطبوع.

---

[1] المصدر نفسه، ص:92.

[2] المصدر نفسه، ص: 109-110.

[3] المصدر نفسه، ص:111 وما بعدها.

✓ **محمد بن تومرت**

هو محمد بن عبد الله بن تومرت (ت 524ه/1129م) مؤسس الدولة الموحدية، وهو الذي قام بترسيم المذهب الأشعري بالمغرب، وكان قبل ذلك قد "ارتحل في طلب العلم إلى المشرق على رأس المائة الخامسة"،[1] و"لقي بالمشرق أئمة الأشعرية من أهل السنة وأخذ عنهم واستحسن طريقهم في الانتصار للعقائد السلفية والذب عنها بالحجج العقلية...وذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه من الآي والأحاديث"،[2] وبعد رجوعه إلى المغرب أخذ في نشر العقيدة الأشعرية على طريقة أهل التأويل، حيث حمل المغاربة "على القول بالتأويل والأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد"[3] "فأهل المغرب لم يكونوا قبل رجوع المهدي من المشرق يعتنقون مذهب الأشعري في العقيدة، وإن يكن بعض علمائهم حصل لهم علم بهذا المذهب"،[4] حيث أن السلطة الحاكمة في ذلك العهد كانت ترفض الخوض في علم الكلام، وكانوا يبالغون في إمرار النصوص على ظاهرها، مما أوقع الناس في التجسيم، وكانوا رافضين لكل تأويل أو استدلال عقلي على حقائق العقيدة، مما جعل ابن تومرت يفكر في تغيير تصور المغاربة في العقيدة لكي "تتحول من تصورات يشوبها التجسيم إلى تصورات تقوم على التوحيد المطلق الموجب لتنزيه الخالق عن كل شبه بالمخلوقات"[5] فقد "كان شغله الشاغل أن يقرب العقيدة القائمة على أساس من التنزيه والتأويل إلى أفهام العامة وأن يجعلها قوام

---

[1] تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، 1421هـ/2000م، ج:6، ص:301-302.
[2] المصدر نفسه، ج:6، ص:302.
[3] المصدر نفسه، ج:6، ص:302.
[4] المهدي بن تومرت، عبد المجيد النجار، ص:430.
[5] المصدر نفسه، ص:351.

تصورهم العقدي، وهو ما كان ينفق فيه شطرا كبيرا من جهده التربوي، وألف فيه عدة رسائل أهمها المرشدة، ليقيم التوحيد في الأذهان مقام التشبيه والتجسيم"،[1] وكان قد"بنى رابطة للعبادة اجتمعت إليه الطلبة والقبائل يعلمهم المرشدة في التوحيد باللسان البربري"،[2] و"المرشدة هي رسالة صغيرة الحجم لا تتجاوز الصفحتين، فيها عرض موجز لمسائل العقيدة خال من البراهين، ولعلها أكثر مؤلفات المهدي انتشارا في المغرب والمشرق لأنها تعتبر خلاصة لفكره العقدي"،[3] و"قد شاع ذكرها بين الناس عامتهم وعلمائهم، وجرت بها الألسنة حفظا وشرحا، وصارت على مر الأيام الخلاصة للتصور العقدي الذي تجري به الأذهان ويلقن للناس"،[4] وقد سار ابن تومرت على نهج "كتاب الإرشاد" في الاستدلال على العقائد، وهذا بَيِّن من خلال كتبه ككتاب "المرشدة" وكتاب "أعز ما يطلب".

- المنهج العقلي التأويلي عند ابن تومرت

1) وجوب النظر: يرى ابن تومرت أن الله يُعرف بضرورة العقل، وذلك أن العقلاء "استقر في نفوسهم أن الفعل لابد له من فاعل، وأن الفاعل ليس في وجوده شك، ولذلك نبه الله تبارك وتعالى في كتابه فقال: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[إبراهيم:10]، أخبر تعالى أن فاطر السموات والأرض ليس في وجوده شك، وما انتفى عنه الشك، وجب كونه معلوما،

---

[1] المصدر نفسه، ص:359.

[2] تاريخ ابن خلدون، ج:6، ص:303. روض القرطاس لابن أبي زرع، دار المنصور للطباعة والوراقة-الرباط، 1972، ص:177.

[3] المهدي بن تومرت، عبد المجيد النجار، ص:150.

[4] المصدر نفسه، ص:447.

فثبت بهذا أن الباري سبحانه يُعلم بضرورة العقل"،[1] وعن معنى الضرورة عنده، فإنه يقول: "والضرورة ما لا يتطرق إليه الشك، ولا يمكن العاقل دفعه. وهذه الضرورة على ثلاثة أقسام: واجب، وجائز، ومستحيل، فالواجب ما لابد من كونه، كافتقار الفعل إلى الفاعل، والجائز ما يمكن أن يكون، ويمكن أن لا يكون، كنزول المطر، والمستحيل ما لا يمكن كونه، كالجمع بين الضدين، وهذه الضرورة مستقلة في نفوس العقلاء بأجمعهم".[2]

2) المبحث الطبيعي في الاستدلال العقدي: وذلك بذكر الأفلاك والأجسام والجواهر والأعراض والحركة والسكون والطبع والعادة والتغير والزيادة والنقصان والحيوانات والجمادات والآثار الطبيعية والألوان المختلفة،[3] وهذا النوع من الاستدلال ينتمي إلى منهج "كتاب الإرشاد" في الاستدلال على العقائد، وهو منهج "كتاب اللمع" أيضا بعد التطوير.

وقد استدل بنظرية الجوهر الفرد على الحدوث، مثل قوله: "وجميع المحدثات وإن كثرت أعدادها، واختلفت أجناسها على ضربين: تغير، ومتغير، فالتغيرات هي الأعراض، والمتغيرات هي الأجرام.

والأجرام على ضربين: منفرد ومتألف، فالمنفرد هو الجزء الفرد الذي لا يجوز عليه التجزي والانقسام، المتغير بالأعراض المتعاقبة، والأحوال المتلازمة"،[4] وهذه هي نظرية الجوهر الفرد عند الأشاعرة، وهذا المبحث الطبيعي قد تناوله أبو الحسن

[1] أعز ما يطلب، محمد بن تومرت، تحقيق: عمار طالبي، وزارة الثقافة الجزائرية- الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007، ص: 214.
[2] المصدر نفسه، ص: 214.
[3] المصدر نفسه، ص: 195 وما بعدها.
[4] المصدر نفسه، ص: 195-196.

الأشعري، حيث قال: "اعلموا أرشدكم الله أن مما أجمعوا -رحمة الله عليهم- على اعتقاده مما دعاهم النبي (صلى الله عليه وسلم) إليه، ونبههم بما ذكرناه على صحته أن العالم بما فيه من أجسامه وأعراضه محدث لم يكن ثم كان، وأن لجميعه محدِثا واحدا، اخترع أجناسه، وأحدث جواهره وأعراضه، وخالف بين أجناسه".[1]

3) **عقيدة التنزيه:** لم يكن ابن تومرت في استدلاله العقدي على منهج "كتاب الإبانة"، بل كان على منهج التأويل لـكتاب "اللمع" الذي استفاده من الجويني والغزالي، ومن أمثلة على منهج التأويل هذا، يقول في تنزيهه لله تعالى: "والخالق سبحانه هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شئ عليم، الأول من غير بداية، والآخر من غير نهاية، والظاهر من غير تحديد، والباطن من غير تخصيص، موجود على الإطلاق من غير تشبيه ولا تكييف...ليس له مثل يقاس عليه، هو كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:11]، لا يلحقه الوهم، ولا يكيِّفه العقل"،[2] "عرفه العارفون بأفعاله، ونفوا التكييف عن جلاله لما يؤدي إليه من التجسيم والتعطيل".[3]

ويقول: "لا إله إلا الذي دلت عليه الموجودات، وشهدت عليه المخلوقات، بأنه جل وعلا وجب له الوجود على الإطلاق، عن غير تقييد، ولا تخصيص بزمان، ولا مكان، ولا جهة، ولا حد، ولا جنس ولا صورة ولا شكل ولا مقدار، ولا هيئة، ولا حال. أول لا يتقيد بالقبلة، آخر لا يتقيد بالبعدية، أحد لا يتقيد بالأينية، صمد لا

[1] رسالة إلى أهل الثغر، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: عبد الله شاكر الجنيدي، ط: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1988، ص: 209.
[2] المصدر نفسه، ص: 217.
[3] المصدر نفسه، ص: 217.

يتقيد بالكيفية، عزيز لا يتقيد بالمثلية، لا تحده الأذهان، ولا تصوره الأوهام، ولا تلحقه الأفكار، ولا تكيفه العقول، لا يتصف بالتحيز والانتقال، ولا يتصف بالتغير والزال، ولا يتصف بالجهل والاضطرار، ولا يتصف بالعجز والافتقار، له العظمة والجلال، وله العزة والكمال، وله العلم والاختيار، وله الملك والاقتدار، وله الحياة والبقاء، وله الأسماء الحسنى".[1]

هذا بعض ما جاء من كلام ابن تومرت، ونموذج من استدلالاته العقدية، ولست أريد التطويل حتى لا أخل بهذا البحث، وأكتفي بما أريد بيانه من منهج ابن تومرت في إستدلاله على العقيدة؛ ما دام أن غرضي هو معرفة منهج الاستدلال العقدي عند أشاعرة المغرب.

✓ عثمان السلالجي

هو أبو عمرو عثمان بن عبد الله السلالجي (ت564ه)[2] يقول عنه التادلي عند ترجمته في كتاب التشوف: "إمام أهل المغرب في علم الاعتقاد...لقي أبا الحسن علي بن أحمد اللخمي المعروف بابن الاشبيلي وكان له بصر وخبرة بكتاب الإرشاد، فلازمه مدة يسيرة حصل له فيها فهم الإرشاد وفتح عليه كل ما انغلق عليه من معانيه، فعاد إلى فاس فزهد في الدنيا وأهلها وانتصب لتعليم العلم محتسبا إلى أن لحق بالله تعالى"،[3] ويحكي التادلي عن السلالجي قوله في كيفية اطلاعه على كتاب الإرشاد، يقول السلالجي: "لقيت فتى من أصحابي، فبت عنده وكان الفتى بطالا [وأبوه] من طلبة

---

[1] المصدر نفسه، ص: 225.
[2] التشوف إلى رجال التصوف، ص:198.
[3] المصدر نفسه، ص:198-200.

العلم، فجعلت أنظر في كتبه، فوقع بيدي من علوم الاعتقاد التقريب والإرشاد فأعجبني وقال لي صاحبهما: هذا الإرشاد هو المدخل إلى هذا العلم، ثم حملته إلى ابن حرزهم وابن الرمالة واستشرتهما في قراءته فاستحسناه وأشارا علي بالنظر فيه، فقلت لابن حرزهم: أتأذن لي في قراءته عليك؟ فقال لي: لا أجيده، فإن قنعت مني بتعليم ما أعلمه فانظره. فأخذته عليه"،[1] وهذه الرواية نفهم منها إقبال صوفية المغرب الأشاعرة على منهج الجويني في الاستدلال على العقائد الإيمانية، فهذا ابن حرزهم من شيوخ الصوفية الكبار بالمغرب، ومن المرجعيات الكبرى في تصوف المغاربة كان أشعريا على طريقة الجويني، وعلى منهج "كتاب اللمع".

كان السلالجي في مرحلة طلب العلم مفتتنا بكتاب الإرشاد، حتى أن "العلم الذي كان يطلبه وملأ الاهتمامُ به شِغافَ قلبه هو علم الاعتقاد في كتاب "الإرشاد"...فهو بعد رجوعه إلى فاس من بجاية سالما بجلده، فارغَ اليد مما رحل إليه؛ طلبه بعضُ الرؤساء لتعليم أولاده وحمَلَه معه إلى مراكش حيث لقي الشيخ أبا الحسن اللخمي المعروف بابن الإشبيلي وكان ذا بصيرة في كتاب "الإرشاد" فلازمَه مدة حصلَ له فيها فهم ذلك الكتاب وفُتح عليه كل ما أُغلق من معانيه".[2] يقول يوسف احنانة عن أبي عمرو السلالجي: "المفكر الأشعري المغربي الذي رفع بعض المؤرخين درجته في علم الكلام بالغرب الإسلامي إلى درجة أبي المعالي الجويني في المشرق، وذلك لاطلاعه الواسع بأمور علم الكلام

---

[1] المصدر نفسه، ص:198-199.

[2] ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة، عبد الله كنون، مركز التراث الثقافي المغربي، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط:1، س ط: 2010، ج:1، ص:254-255.

الأشعري من جهة، ولدوره الكبير في بث ونشر المذهب الأشعري بالمغرب، حتى قيل عنه إنه هو الذي أنقذ أهل فاس من التجسيم".[1]

توجد للسلالجي رسالة تسمى بـــ"العقيدة البرهانية" المشهورة بالسلالقية (وهي) على صغر حجمها مختصر "الإرشاد"[2] "فقد كان لحجمها الصغير ودقة عباراتها، دور فعال في إقبال المغاربة عليها بكل أصنافهم وفئاتهم وأعمارهم وتخصصاتهم، فالتفوا حولها وقاموا بحفظها وتعلمها وشرحها كل حسب طاقته وإمكانياته"،[3] فقد "لقيت قبولا تلقائيا من طرف المغاربة، لكونها-على وجازتها واختزالها- تعطي تصورا عاما ودقيقا عن أصول وأركان العقيدة، بحيث يخرج قارئها بنظرة وافية عما يجب أن يعتقده في حق الله [تعالى] وصفاته ورسله والأخبار الغيبية المرتبطة بالرسالة".[4]

سار السلالجي في هذه الرسالة التي كتبها على منهج التأويل، يقول عبد الله كنون: "إن ما حصل به الشيخ على الشهرة الواسعة وأبقى له الذكر الحسن في الناس، هو هذه المقدمة العقدية التي شهرت "بالبرهانية" واقترنت بذكر جهاده في بث عقيدة أهل التأويل"،[5] وهي على طريقة الجويني في "كتاب الإرشاد"، وهو نفسه منهج "كتاب اللمع" كما ذكرت سابقا، و"إن منهجه فيها، وتقسيمه لموضوعاتها ينبئ عن اطلاع واسع وخبرة كبيرة بمباحث العقيدة وبمسائل علم الكلام، لهذا اندفع الشراح إلى العناية بها

---

[1] تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، يوسف احنانا، 2003، ص:112.
[2] ذكريات مشاهير المغرب، ج:1، ص: 263.
[3] جمال البختي، عثمان السلالجي ومذهبيته الأشعرية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط:1، س ط: 2005، ص:184.
[4] المصدر نفسه، ص:197.
[5] ذكريات مشاهير المغرب، ج:1، ص: 263.

وأسهب المتكلمون المغاربة في توضيح فصولها وبسط قضاياها"،[1] وشروح البرهانية جلها مفقود.[2]

- منهج التأويل عند السلالجي

يقول السلالجي منزها الله تعالى عن مشابهته الحوادث: "والدليل على أنه تعالى مخالف للحوادث: هو أن المثلين: كل موجودين متساويين في جميع صفات النفس، والرب تعالى مقدس عن جميع سمات الجواهر والأعراض، فوجب أن يكون مخالفا لها؛ وذلك أن الجوهر حقيقته: المتحيِّز، والمتحيِّز يجوز عليه الاختصاص ببعض الجهات والمحاذيات، وذلك يدل على حدوثه، والموصوف بالقدم لا يتصف بما يدل على حدوثه"،[3] فهذه المنهجية العقلية في الاستدلال لا تتفق مع منهج "كتاب الإبانة" مما يفيد في أن السلالجي كان يسير على منهج الجويني في الإرشاد لهذا وللأدلة التي ذكرتها من قبل.

✓ ابن خمير السبتي

هو أبو الحسن علي بن أحمد السبتي المعروف بابن خمير الأموي السبتي (ت614هـ/1217م)، له كتاب "مقدمات المراشد" محقق مطبوع، وقد كان أيضا على منهج "كتاب الإرشاد"، وعلى طريقة "كتاب اللمع" في الاستدلال العقدي كحال جميع المغاربة،

---

[1] عثمان السلالجي ومذهبيته الأشعرية، ص:201.

[2] المصدر نفسه، ص:181.

[3] العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية للسلاجي، شرح العقباني، تحقيق: نزار حمادي، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط:1، س ط:1429هـ/2008م، ص:25-26.

ومما يؤكد أن المنهج الأشعري المغربي هو منهج "كتاب اللمع" قول ابن خمير السبتي في مقدمة كتابه "مقدمات المراشد" يرد فيه على من يُفتَرَض أنه سيُسأل عن سبب إقدامه على تأليف هذا الكتاب وقد سبقه من هو أعلم منه، يقول ابن خمير: "فإن قيل: وكيف تستتب لك هذه الدعوى وقد تقدمك إليها فحول العلماء ورؤساء الطريقة كالشيخ أبي الحسن في "لمعه"..."،[1] فلو كان "كتاب الإبانة" هو المنهج الحقيقي لأبي الحسن الأشعري لذكره ابن خمير، ولما ذكر "اللمع"، فهذا نص واضح يزكي طرحي في هذا الموضوع الذي خصصته للفكر الأشعري المغربي بين "كتاب الإبانة" و"كتاب اللمع"؛ حيث يؤكد هذا النص أن المنهج الاستدلالي العقدي عند أشاعرة المغرب هو منهج "اللمع"، وأنه المنهج الحقيقي الذي مات عليه أبو الحسن الأشعري، وقد سار ابن خمير السبتي في كتابه "مقدمات المراشد" على هذا المنهج كما سأبين.

- المنهج العقلي التأويلي عند ابن خمير السبتي

1) وجوب النظر: يرى ابن خمير وجوب النظر والاستدلال على العقائد ويذم التقليد مطلقا، يقول: "العلم بالله تعالى واجب بالإجماع، والتقليد ترك العلم، وترك الواجب حرام، فالتقليد حرام، والحرام مذموم بالشرع، فالتقليد مذموم"[2] و"أجمعت الأمة على أن

---

[1] ابن خمير السبتي، مقدمات المراشد، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح-توفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، ط:1، س ط:1429هـ/2008م، ص:21.
[2] المصدر نفسه، ص: 43.

العلم بالله تعالى واجب، وهو لا يحصل إلا بالنظر والاستدلال، وما لا يصح الواجب إلا به فهو واجب".[1]

ويستدل على حدوث العالم إنطلاقا من الحكم العقلي باعتبار العلم بالجواز، وهو قطب العقل،[2] كما ذكر، ثم يسترسل في وصف ظواهر الطبيعة، وهذا المنهج يتقاطع بالمرة مع منهج "كتاب الإبانة".

2) عقيدة التنزيه: في كتابه "مقدمات المراشد" يعمل بمنهج التأويل لتنزيه الله تعالى عن الحوادث ونفي التشبيه عنه تعالى، يقول: "فهذه جملة العالم بأسره من العرش إلى الفرش يشهد بنفي التشبيه بينه وبين خالقه"،[3] ورد على المشبهة في آيات وأحاديث ركنوا إلى ظاهرها كآية الاستواء، وآية المجئ، وآية الساق، واليد، والعين، والأعين، والجنب، وكذلك حديث النزول، وحديث القدم، والرجل، والضحك، والفرح...إلى غير ذلك، بالمنهج العقلي التأويلي،[4] ويؤول اليد واليدين والأيدي بالقدرة البالغة، والأعين بالحفظ، والوجه بالطاعة والانقياد، وغير ذلك من الصفات،[5] ويقول: "وجملة الأمر أن كل صفة لا يثبت للباري تعالى بإثباتها كمال، ولا ينتفي عنه بنفيها نقص، ولا تفتقر إليها الأفعال، ولا يقوم على إثباتها دليل من العقل، ولا نص قاطع من النقل، فقد انسد الطريق إلى إثباتها".[6]

---

[1] المصدر نفسه، ص: 63.
[2] المصدر نفسه، ص: 66 وما بعدها.
[3] المصدر نفسه، ص: 102.
[4] المصدر نفسه، ص: 103 وما بعدها.
[5] المصدر نفسه، ص: 141-143.
[6] المصدر نفسه، ص:143.

3) إثبات الكلام النفسي: ويثبت أيضا الكلام النفسي لله ويرد على المجسمة الذين يرون كلام الله عبارة عن حروف وأصوات،[1] ويقول: "فصح أن الكلام الحقيقي لنا هو كلام النفس بشهادة العقل والنقل، وما سواه من الأصوات والرموز والإشارة والكتابة...وغير ذلك من الأمارات إنما هو عبارة عن الكلام لا نفس الكلام".[2]

4) **إثبات الكسب:** أثبت ابن خمير الكسب، وهو النظرية التي جاء بها الأشعري في "كتاب اللمع"، وأطال الأشعري النفس فيها وبسطها تبسيطا، وهذه النظرية لا نجدها في "كتاب الإبانة"، وابن خمير أيضا أطال فيها الكلام ورد على من يخالف الأشاعرة في هذه المسـألة.[3]

- ✓ **أبو الحجاج يوسف المكلاتي**

هو أبو الحجاج يوسف بن محمد المكلاتي (ت626هـ/1237م) أشعري على التحقيق، بخلاف من يرى أنه كان ينتمي إلى طائفة الفلاسفة، فهذا بعيد جدا، فنصوصه التي أوردها في كتابه "لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول" تبين ذلك، فهو يسير فيه على منهج الأشاعرة المتأخرين، ويستدل بآرائهم، ومما يدل على أشعريته ترضيه عن أبي الحسن الأشعري، وموافقته الأشاعرة في كل آرائهم، كما نجد في كلامه هنا، حيث يقول: "وقد

---

[1] المصدر نفسه، ص:151 وما بعدها.
[2] المصدر نفسه، ص:155.
[3] المصدر نفسه، ص:178.

تردد جواب أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه في ذلك..."،[1] ويقول: "وإلى هذا ذهب أبو حامد وجماعة من الأشعرية، وهذا المختار عندنا"،[2] وكذلك في إثباته لله الكلام النفسي إذ يقول: "وأنه تكلم بكلام قديم أزلي، لا مفتتح لوجوده...هو القول القائم بالنفس...فخرج لك من ذلك ثبوت كلام قائم بالنفس"،[3] والأشاعرة هم من يقولون بالكلام النفسي.

- ملاحظات في كتاب "لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول"

كان المكلاتي متأثرا بمنهج "كتاب الإرشاد" للجويني كغيره من أشاعرة المغرب، فهو يرد على الفلاسفة في كتابه "لباب العقول" إنطلاقا من "كتاب الإرشاد" للجويني، وأحيانا ينقل العبارات كما هي في "كتاب الإرشاد"، دون أن يتصرف فيها، كقوله: "وذهب الجبائي وابنه إلى أن المعنى بكونه سميعا بصيرا أنه حي لا آفة به"،[4] والكلام نفسه في "كتاب الإرشاد"، يقول الجويني: "وذهب الجبائي وابنه إلى أن المعنى بكونه سميعا بصيرا أنه حي لا آفة به"،[5] ويقول المكلاتي: " وأطبق المنتمون إلى الإسلام على إثبات الكلام، ولم يصر صائر إلى نفيه، ولم ينتحل أحد في كونه متكلما نحلة نفاة الصفات في كونه عالما قادرا حيا"[6] وفي "كتاب

---

[1] لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول، أبو الحجاج يوسف المكلاتي، تحقيق: فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، ط:1، س ط:1977، ص: 213.
[2] المصدر نفسه، ص: 213-214.
[3] المصدر نفسه، ص: 255-260.
[4] المصدر نفسه، ص: 213.
[5] كتاب الإرشاد، الجويني، ص: 72.
[6] المصدر نفسه، ص: 255.

الإرشاد": "وأطبق المنتمون إلى الإسلام على إثبات الكلام، ولم يصر صائر إلى نفيه، ولم ينتحل أحد في كونه متكلما نحلة نفاة الصفات في كونه عالما قادرا حيا"[1] ويقول المكلاتي في كتابه "لباب العقول" في نص كامل مجتزأ كما هو من "كتاب الإرشاد": "ثم ذهب المعتزلة، والخوارج، والزيدية، والإمامية، ومن عداهم من أهل الأهواء إلى أن كلام الله تعالى عن قول الزائغين حادث مفتتح وجوده. وصار صائرون من هؤلاء إلى الامتناع عن تسميته مخلوقا، لما في لفظ المخلوق من إيهام الخلق، إذ الكلام المختلق، هو الذي ينوبه المتكلم تخرصا من غير أصل. وأطلق معظم المعتزلة لفظ المخلوق على كلام الباري تعالى، وذهبت الكرامية إلى أن الكلام قديم، والقول حادث والقرآن قول الله تعالى، وليس بكلام الله تعالى. وكلام الله تعالى عندهم القدرة على التكلم. وقوله حادث قائم بذاته تعالى الله عن قول المبطلين وهو غير قائل بالقول القائم به، وإنما هو قائل بالقائلية"[2] وفي "كتاب الإرشاد" يقول الجويني: "ثم ذهب المعتزلة، والخوارج، والزيدية، والإمامية، ومن عداهم من أهل الأهواء إلى أن كلام الباري تعالى عن قول الزائغين حادث مفتتح الوجود. وصار صائرون من هؤلاء إلى الامتناع من تسميته مخلوقا، مع القطع بحدثه لما في لفظ المخلوق من إيهام الخلق، إذ الكلام المخلوق، هو الذي يبديه المتكلم تخرصا من غير أصل. وأطلق معظم المعتزلة لفظ المخلوق على كلام الله تعالى، وذهبت الكرامية إلى أن كلام الله قديم، والقول حادث غير محدث والقرآن قول الله، وليس بكلام الله. وكلام الله عندهم القدرة على الكلام. وقوله حادث قائم بذاته تعالى عن قول المبطلين؛ وهو

---

[1] المصدر نفسه، ص: 99.

[2] لباب العقول، المكلاتي، ص: 255-256.

غير قائل بالقول القائم به، بل قائل بالقائلية"،[1] فهذه فقط بعض المختارات من الكتابين أبين من خلالها استفادة المكلاتي من "كتاب الإرشاد"، مما يزيدنا تأكيدا أن أشاعرة المغرب تأثروا بكتاب "الإرشاد" للجويني وساروا على نهجه وهو نفس اتجاه "كتاب اللمع" لأبي الحسن الأشعري كما قررته سابقا.

- منهج التأويل عند المكلاتي

عقيدة التنزيه: ينفي المكلاتي عن الله الجهة والزمان، واستحالة ذلك على الله، يقول: "مذهب أهل الحق، أن الباري تعالى وتقدس يستحيل عليه التخصص بالجهات، كما يستحيل عليه التغير بالزمان".[2]

تأويله آية ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[طه:5]، وأن الاستواء تارة يعني القهر والغلبة وتارة يكون بمعنى الاستيلاء، يقول: "فالعرش في كلام العرب لفظ مشترك، تارة يطلق ويراد به السرير وتارة يطلق ويراد به الملك.

فإن قلناه على السرير؛ قلنا فيه تأويلان:

أحدهما: حمل الاستواء على القهر والغلبة، وذلك شائع في اللغة...والتأويل الثاني: حمل الاستواء على قصد الإله الرائد في العرش...

[1] كتاب الإرشاد، الجويني، ص: 100-101.
[2] لباب العقول، المكلاتي، ص: 173.

وإن حملنا العرش على الملك، فيكون الاستواء بمعنى الاستيلاء وذلك أمر مشهور في كلام العرب".[1]

هذه بعض ما اخترته من النصوص أبين من خلالها منهج المكلاتي في العقائد الإيمانية، وما يهمني هو الوقوف على حقيقة منهجه وليس عرض نصوصه وهي كثيرة.

- ✓ **عبد الواحد بن عاشر**

هو "أبو مالك عبد الواحد بن أحمد بن عاشر الأنصاري الأندلسي الأصل الفاسي المولد والقرار الفقيه الأصولي المتكلم...له تآليف منها المنظومة المسماة بالمرشد المعين رزق فيها القبول...توفي في ذي الحجة سنة 1040"[2]

ومنظومته المشهوة يحفظها طلبة العلم الشرعي في الكتاتيب القرآنية ويدرسونها في المدارس العتيقة، هذه المنظومة التي استفاد منها المسؤولون في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والمشرفون على اصلاح الحقل الديني قاعدة ما يعرف عندهم بالثوابت الدينية عند المغاربة، وهي العقيدة الأشعرية والمذهب المالكي والتصوف السني، أخذوها من قوله:

في عَقْدِ الأشْعَرِي وفِقْهِ مالِكِ *** وفي طَرِيقَةِ الجُنَيْدِ السَّالِكِ[3]

وقد رأيت أن أتحدث عن منهجه في المنظومة لعلاقتها بالفكر الأشعري المغربي قديما وحديثا، وأعرض منها بعض الأبيات مع

---

[1] المصدر نفسه، ص:176-177.

[2] شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، المطبعة السلفية-القاهرة، 1349، ص:299-300.

[3] مختصر الدر الثمين والمورد المعين، ميارة، دار الفكر، ط:1، 1429هـ/2008م، ص:13.

شرحها من خلال كتاب "الدر الثمين والمورد المعين" لمحمد بن أحمد بن محمد الفاسي الشهير بـــ"ميارة" وهو شرح على منظومة ابن عاشر، لأبين أنه سواء الناظم أو الشراح كلهم ساروا على منهج "كتاب الإرشاد" للجويني وعلى طريقة "كتاب اللمع" للأشعري.

1) الحكم العقلي: يبتدئ ابن عاشر مقدمته لكتاب الاعتقاد في منظومته بذكر الحكم العقلي مما يفيد أن منهجه في الاستدلال على العقائد منهج عقلي بخلاف "كتاب الإبانة"، يقول ابن عاشر:

وَحُكمُنـــا العَقليُّ قَضِيَّةٌ بِلَا **وَقْفٍ على عـــــادةٍ أو وَضْعٍ جَلَا

أَقسامُ مُقتَضاهُ بالحَصْرِ تُمازْ**وهي الوُجوُبُ الاستِحالَةُ الجَوازْ

الشرح: "ودليل الحصر في الثلاثة...هو أن كل ما يحكم به العقل، إما أن يقبل الثبوت والانتفاء معا أو يقبل الثبوت فقط أو الانتفاء فقط؛ فالأول هو الجائز ويسمى الممكن أيضا. والثاني الواجب. والثالث المستحيل".[1]

2) وجوب النظر: يوجب ابن عاشر استعمال النظر في الاستدلال العقدي بخلاف "منهج كتاب الإبانة".

يقول ابن عاشر:

أوَّلُ واجِبٍ على مَن كُلِّفَا *** مُمَكَّناً مِن نَظَرٍ أن يَعرِفَا

الشرح: "والمعرفة الواجبة في الجزم المطابق عن دليل فخرج بالجزم من كان إيمانه عن ظن أو شك أو وهم فإيمانه باطل بإجماع. وخرج بوصفه بالمطابق الجزم

[1] المصدر نفسه، ص:16.

غيــر المطــابق ويسـمى الاعتقـاد الفاسـد والجهـل المركـب كاعتقـاد الكـافرين التجسـيم أو التثليـث أو نحو ذلك".[1]

3) عقيدة التنزيه:

يقول ابن عاشر:

وَخُلْفُهُ لِخَلْقِهِ بِلَا مِثــالْ *** وَوَحْدَةُ الذّاتِ وَوَصْفٍ والفِعالْ

الشرح: "(مخالفتــه تعــالى للحــوادث) لا يماثلــه تعــالى شــيء مـن الحـوادث لا فـي ذاتـه تعـالى ولا فـي صفاته ولا في أفعاله. قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:11]".[2]

فهذا هو فكر ابن عاشر ومنهجه العقدي، وهو الذي حفظه طلبة العلم المغاربة منذ زمن وبنوا عليه ثوابتهم الدينية؛ لا "كتاب الإبانة" الحنبلي الذي تراجع عنه الأشعري واستبدله بمنهج "كتاب اللمع"؛ هذا إن ثبت أن "كتاب الإبانة" هو حقا لأبي الحسن الأشعري.

هذا جملة القول في المنهج الاستدلالي العقدي عند أشاعرة المغرب، ورأينا كيف كانوا متأثرين بكتاب "الإرشاد" للجويني، وهو نفسه منهج "كتاب اللمع" لأبي الحسن الأشعري على التحقيق.

---

[1] المصدر نفسه، ص:18.
[2] المصدر نفسه، ص:24-25.

الفكر الأشعري المغربي المعاصر

الفكر الأشعري المغربي المعاصر هو فكر "كتاب الإبانة"، وهذا ما نستنتجه من التوجه الذي تسير وفقه المؤسسات الرسمية لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، والجامعات التي تفتح مسارات الدراسات الإسلامية، وخاصة كلية أصول الدين، وقد جاء ذكر هذا في موقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وفيه قد كتب: "الفكر الأشعري في الغرب الإسلامي عموما، وفي المغرب الأقصى خصوصا، هو طبق الأصل لصاحب المذهب وهو أبو الحسن الأشعري.. الأمر الذي يفيد من جهة أخرى أن أشعرية المغاربة لم تتأثر بالاتجاهات الأشعرية في المشرق، مثل الاتجاه الجويني والباقلاني والغزالي .. بل هي أشعرية اعتدالية سنية سلفية محافظة خلافا لما يلاحظ في بعض الأقطار."[1]، وهذا كلام لا يصح، فقد بينت في هذا الكتاب أن الفكر الأشعري المغربي قام على المنهج العقدي للجويني من خلال "كتاب الإرشاد"، وقد سار المغاربة على هذا المنهج، ويحاول مدير "مركز أبي الحسن الأشعري جمال علال البختي ترسيم فكر الإبانة بكل الطرق، يقول: "البحث في الفكر الأشعري المغربي يكتسي في نظرنا أهمية قصوى لأنه ليس بحثا تراثيا فحسب، ولكنه بحث يتداخل فيه الماضي بالحاضر وترتبط فيه القناعات الإيمانية لكثير من مسلمي اليوم بقناعات كثير من مسلمي الأمس، وذلك لأن المذهب الأشعري شكل خلال قرون عديدة المستند الإيماني لفئة عريضة من شعوب البلاد الإسلامية التي من بينها

---

[1] www.habous.gov.ma موقع: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 3 فبراير 2012.

المغرب"،[1] والمذهب الأشعري عنده هو ما في "كتاب الإبانة" وليس ما في "كتاب اللمع"، وهذا ما جعلنا ننقد هذا التوجه العقدي للمؤسسات الرسمية في المغرب.

✓ **خطورة فكر "كتاب الإبانة" على المجتمع المغربي**

لقد اختار المغاربة كما ذكرت منهج "كتاب الإرشاد" للجويني، وهو المنهج نفسه الذي في "كتاب اللمع"، وهو المنسجم مع طبيعة تفكير المغاربة قديما، وكان المغاربة قد التزموا منذ القدم بالعقيدة الأشعرية والمذهب المالكي وتصوف الجنيد، وقد عبر عبد الواحد بن عاشر (ت 1040هـ) عن هذا المعنى في منظومته المرشد المعين بقوله:

في عقد الأشعري وفقه مالك *** وفي طريقة الجنيد السالك

هذا "وقد أسهمت الأشعرية رفقة المذهب المالكي والتصوف السني في خلق انسجام مذهبي وعقدي في المغرب جنبه كثيرا من القلاقل والفتن التي كانت تقع في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي بسبب الخلافات العقدية"[2] وهذه المناهج الثلاثة في الحقيقة لا تتفق مع الفكر العقدي الموجود في "كتاب الإبانة"، فالمذهب الأشعري بينت كيف أن الأشاعرة لا ينتهجونه، وأما المذهب الفقهي المالكي فإن المالكية لم يكونوا يوما على طريقة الحنابلة في الاعتقاد، فقد "آزر المالكية المذهب الأشعري وانتموا إليه، فكان هو مذهبهم العقدي إلى جانب فقه مالك"[3]، وأما

[1] جمال البختي، الفكر العقدي بالمغرب بين الأشعرية والسلفية، بريس تطوان، 9www.presstetouan.com شتنبر 2012.
[2] موقع : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 3 فبراير 2012.
[3] موقع : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 3 فبراير 2012.

التصوف فمناقض لما في فكر "كتاب الإبانة" ذي التوجه السلفي الحنبلي، وهذا الفريق الأخير له قطيعة مع التصوف وخصومة كبيرة مع المتصوفة، فكيف سيجتمع الفكر الأشعري المقرر في الإبانة مع المنهج الصوفي الذي عملت الدولة على ترسيمه؟

هنالك في المغرب ارتباط وثيق بين الأشعرية والتصوف، وهذا الارتباط يتجلى في منهج الأشاعرة المأخوذ عن الأشعري من خلال "كتاب اللمع" وهو المنهج الذي سار عليه المغاربة بعد دخول "كتاب الإرشاد" للجويني إلى المغرب، وأخذ المغاربة العقيدة الأشعرية عن طريقه، وقد كان جل متصوفة المغرب أشاعرة، كما يبين لنا هذا النص لعبد الله كنون، يقول: "فقد أخذ (السلالجي) عن ابن الإشبيلي غيرَ أصول الدين أو غير كتاب الإرشاد، علوما وكتباً أخرى، وأهمها التصوف الذي كان له أعظم الأثر في هذا التوجيه الذي اختاره لنفسه"،[1] وقد أخذ غيره التصوف إلى جانب العقيدة الأشعرية المتمثلة بمنهج الجويني في كتابه "الإرشاد"، حيث "يعتبر التصوف كما أرسى قواعده السلوكية شيوخ المغرب من أهم المميزات للخصوصيات المغربية في المجال الديني؛ وذلك لِمَا تراكم أيضا في هذا المجال من رصيد تربوي، أسهم - عبر التاريخ - بصورة فعالة جدا، في تشكيل الوجدان الديني المغربي، والسلوك الاجتماعي الوطني؛ بما لا يمكن محوه أو تغييره. وهذه حقيقة تاريخية راسخة!"[2]، ولكن الواقع شئ آخر، فالمسؤولون يحاولون إيجاد انفصام بين الأشعرية والتصوف بتبنيهم فكر "كتاب الإبانة".

---

[1] ذكريات مشاهير رجال المغرب، عبد الله كنون، ص:255-256.

[2] موقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2يونيو 2012.

ربما تحاول وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بمنهجها الديني المبني على المقاربة الأمنية استقطاب السلفية وإدماجها داخل المنظومة الدينية المغربية القائمة على العقيدة الأشعرية والمذهب المالكي والتصوف السني، لذلك تبحث عن ما يمكن أن يكون مشتركا في الفكر بين جميع المغاربة، وهذا موجود في موقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، كما هو مكتوب فيه: "...بل هي أشعرية اعتدالية سنية سلفية محافظة"،[1] فمن خلال هذا نفهم حرص الوزارة ومعها المراكز والمؤسسات الدينية على "كتاب الإبانة"، ظنا منهم أن هذا يمكن أن يتقارب مع السلفية، وهذه مقاربة خاطئة، والحقيقة غير هذا، فالسلفية لا يمكن أن تتفق مع الأشعرية والتصوف حتى وإن تم تغيير منهجهما وفكرهما، فهم لا يرون الحق إلا في المنهج السلفي، ولذلك "لا عبرة هنا بمحاولة بعض الحنابلة، قديما وحديثا، الفصل بين أبي الحسن وتلاميذه وادعائهم أن أبا الحسن كان أقرب إليهم هم المستأثرون بوصف "أهل السنة"! وأن تلامذة أبي الحسن، وخاصة منهم الجويني والغزالي، قد حادوا عن طريقهم وبانوا عن منهج السلف!".[2]

والحقيقة أن ما يصطلح عليه بالفكر السلفي اليوم هو فكر منحرف عن منهج السلف الصالح في التفكير الإسلامي، وإن ادعوا أنهم على منهج السلف؛ والحقيقة أن منهجهم مبتدع، ابتدعوه هم لأنفسهم، فنحن نجد انحراف السلفية على مستوى المنهج في كثير من التطبيقات والممارسات والسلوكيات التي تنم بالبعد عن منهج السلف الصالح، "فإن كثيرا من الذين يتحدثون اليوم عن الإسلام والمسلمين ويصرون على تقسيم المسلمين إلى سلفيين

---

[1] www.habous.gov.ma موقع: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 3 فبراير 2012.

[2] عبد المجيد الصغير، مجلة الإبانة، العدد الأول، رجب 1434ه/يونيو 2013م.

وبدعيين أو خَلَفيين، زيادة على الانقسامات المبتدعة المؤسفة التي انتشرت فيما بينهم، قد لا يعلمون من هذا المنهج إلا النزر اليسير، ولعلهم لا يقيمون له وزنا ولا يرون له وظيفة ولا شأنا"،[1] وقد أوصلهم هذا المنهج إلى مسائل عقدية وأخرى فقهية فروعية مخالفة لما عليه أهل السنة والجماعة، ومنها:

في المسائل العقدية:

مسألة تقسيم التوحيد: إلى ربوبية و(ألوهية) و(أسماء وصفات)، والفوق الحسي للذات الإلهية، وإسكانه سبحانه وتعالى في سماء، والصعود والهبوط الحسيان للباري -جل شأنه-، والخوض في ألفاظ واردة في آيات قرآنية وأخبار نبوية تتعلق بالذات الإلهية لمعاني تتصل بسياقها لا تثبت صفاتا لحواس أو جوارح لله عز وجل، والقول بفناء النار لظاهر خبر آحاد ظني يعارض النصوص القرآنية القطعية، والقول أن عبدة الأصنام والأوثان موحدون في قسم من أقسام التوحيد ومشركون في قسم آخر مناقضة لعموم ومطلق النصوص القرآنية والنبوية.

هذه المسائل لم تصرح بها نصوص القرآن الكريم ولا السنة النبوية الصحيحة، ولم يقل بها سادتنا السلف الصالح لقوله -تعالى-: ((وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ))[الإسراء:36]"[2]

مسائل فروعية فقهية ظنية:

- وجوب تقصير ثياب الرجال السلفية دون نظر إلى علة النهي (الخيلاء).

---

[1] السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، ط:14، س ط:1431هـ/2010م، ص:64.

[2] السلفية بين الأصيل والدخيل، أحمد محمد كريمة، دار الكتاب الصوفي، القاهرة، ط:1، س ط:1433هـ/2012م، ص:9.

- وجوب تغطية وجوه النساء دون اعتبار بالأدلة الواضحة في كشف الوجه والكفين.

- وجوب ختان الإناث مع أن مرجعيات بلد المنشأ لا تمارسه!

- إيجاب إخراج الحبوب والأطعمة في صدقة الفطر وبطلان ما عداها مع أن المسألة من عهد التابعين إلى يومنا هذا لظنية الأدلة ورودا ودلالة.

- منع دعاء القنوت في صلاة الصبح، ومنع رفع الأيدي في الدعاء تعطيلا لأحاديث وآثار صحيحة للأول، ومناهضة للإجماع الذي حكاه النووي وغيره للثاني.

- بطلان الصلاة في مساجد بها قبور، مع أن الفقهاء لم يتحدثوا في هذا بل حكم الصلاة في مقابر، ويؤدي مدعاهم إلى بطلان الصلوات في مسجده (صلى الله عليه وسلم)...

- تحريم التصوير بالآلة الساكن (الفوتوغرافي) وحمل كلمة (مصور) في الأحاديث على الآلة، وهي في الواقع للتماثيل المعبودة من دون الله تعالى، لعدم وجود كاميرات آنذاك.

- الحكم بالبدعة على المسبحة وسائر مستحدثات تعد (عادات) لا (عبادات).

- ومئات مسائل فروعية منها ما في الفقه الحنبلي أو إفتاء لأشياخهم ورموزهم في بلد المنشأ صارت للتعصب منسوبة زورا إلى (السنة) و(السلف الصالح)، ودعواهم لتنحية كل مذاهب الفقهاء عدا من ذكر"[1].

---

[1] السلفية بين الأصيل والدخيل، أحمد محمد كريمة، دار الكتاب الصوفي، القاهرة، ط:1، س ط:1433هـ/2012م، ص:13-15.

ومن أهم أفكار السلفية على مستوى المنهج؛ التي يتبنونها وينشرونها، وهي:

1- رفضهم للتأويل ومحاربته، وعدم اعترافهم بكلام أئمة المفسرين وكتب التفسير، وعدم التفاتهم إلى أساليب اللغة العربية كالاستعارة والمجاز والشعر الجاهلي في تفسير القرآن..

2- لا يريدون الاستدلال بالقرآن في غالب الأحيان إلا إذا وجدوا ظاهر آية يناسب معتقدهم، فيلوون عنق النص لصالحهم ويغضوا الطرف عن بقية الآيات في الموضوع.

3- تصحيحهم الحديث وتضعيفهم له على مزاجهم ليحقق لهم تأييد فكرهم الذي يدعون له، بل تمادى أمرهم إلى أن خرجوا وعلقوا على أحاديث كتب السنة وحكموا عليها بما يوافق مذهبهم وقاموا بطباعتها ونشرها ليفرضوا على الناس حكمهم على الأحاديث...

4- عدم أخذهم بالإجماع إلا فيما يدعون فيه الإجماع وليس فيه إجماعا أصلا...

5- عدم إيمانهم بالقياس إلا في موضوع التشبيه والتجسيم...

6- محاربتهم للعقل والعقلانية والحوار...

7- الإصرار على الفكر الخطأ بدون معرفة الدليل والتلقين والتقليد الشديد؛ مع أنهم يدَّعون الاجتهاد والنظر في نصوص الكتاب والسنة..."[1] فمنهج السلف الصالح كان منهجا متناسقا بين طبيعة النص والعقل واللغة والواقع، ولم يكن منهجهم مبتدعا، وعلى ذلك سار المقتدون بالسلف الصالح، وحق لنا أن نطلق عليهم

---

[1] السلفية الوهابية أفكارها الأساسية وجذورها التاريخية، حسن السقاف، دار الميزان، بيروت-لبنان، ط:3، س ط:1430هـ/2009م، ص:77-86.

لقب (السلفية)، "لقد كان مناط استحقاقهم لهذا اللقب التزامهم بمنهج المعرفة القائم على التنسيق الدقيق بين حكم العقل ودلالة النقل، (وهو تنسيق نبه إليه البيان القرآني وأرشد إليه وربى المسلمين الصادقين في إسلامهم على أساسه) ثم التزامهم بالقواعد العربية المعتمدة في تفسير النصوص، ولقد كان لهم في فهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لكتاب الله واجتهادات الصحابة في تفسيره وتأويله، خير مظهر تطبيقي لذلك كله".[1]

✓ خطورة "كتاب الإبانة" على الأمن الفكري للمتعلمين في المدارس والجامعات

الأمن الفكري كما عرفوه: "إنه سلامة فكر الإنسان وعقله وفهمه من الانحراف والخروج عن الوسطية، والاعتدال، في فهمه للأمور الدينية، والسياسية، وتصوره للكون بما يؤول به إلى الغلو والتنطع، أو إلى الإلحاد والعلمنة الشاملة"،[2] وتعمل الدولة المغربية على حماية الأمن الفكري الذي بدوره يهدف إلى حماية الأمن الاجتماعي للمغاربة، وتراقب بموجب ذلك النشاطات الدينية والدعوية والمناهج والمقررات الدراسية، وللمناهج الدراسية أهمية كبرى في تحديد مسار الشعوب، وحراسة أمنها القومي والديني، وتعمل على صقل شخصية الإنسان المسؤول تجاه وطنه ودينه وحضارته وقيمه الإنسانية والكونية، فالمدرسة والجامعة هي التي تخرج المواطن الصالح، الذي يقوم بدوره في الحياة على أكمل وجه.

---

[1] السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي، ص:229.

[2] ابن مسفر الوادعي، الأمن الفكري الإسلامي، مجلة الأمن والحياة، الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، 1418 هـ، ص:50.

وإن كنت أتفق معها في التصدي لأي فكر متطرف، فإني لا أتفق معها في نبذ أي فكر معتدل يدعو إلى جوهر الإيمان وحقيقة الإسلام؛ وإن لم ينتمي إلى المنظومة الفكرية التي تتبناها الدولة، فكيف إذا تبنت الدولة فكر "كتاب الإبانة" الموغل في التطرف، ولذلك أنبه عليه، وألفتُ الأنظار إلى حقيقة المنهج الأشعري المغربي الذي أخذه المغاربة منذ دخول العقيدة الأشعرية إلى المغرب، حتى نتفادى أي مشكل من شأنه أن يحدث بسبب فكر "كتاب الإبانة" إذا ما تم فرضه على المغاربة في مجامعهم ومساجدهم ومدارسهم وجامعاتهم، ولا بأس من الانفتاح على باقي المناهج الأخرى في ظل عصر التيكنولوجيا والفضاء المفتوح والثورة الإعلامية التي جعلت العالم عبارة عن قرية صغيرة، كل يعرف الآخر ويتأثر به، ولا بأس بالاختلافات الفكرية وحرية المغاربة في اعتقاداتهم الإيمانية؛ إذا كانت تحصِّل مبدأ التقوى وتحقق مقاصد الدين، ولم تُخِل هذه الاعتقادات بالأمن الفكري الضروري، والأمن الاجتماعي للمغاربة، كالنزوع نحو التجسيم والتكفير وسفك الدماء، وأن يقوم بالتصدي لهذه الأفكار والاعتقدات المنحرفة الفقهاء والعلماء، فالاختلاف كان حاصلا في المغرب منذ زمن "وبرغم بروز اتجاهات عقدية غير أشعرية عند بعض علماء المغرب بعد القرن السادس الهجري؛ فإن التعبير عن الخلاف كان محصورا في السجال العلمي"[1]، فالأصل في الإسلام حرية المعتقد، مالم يدعُ إلى الحرابة.

وفكر "كتاب الإبانة" يدعو إلى كل هذه الشرور، ولذلك شك الكثير في نسبة هذا الكتاب إلى أبي الحسن الأشعري، وقد حاول البختي في مجلة "الإبانة"[2] الدفاع عن الاتجاه العقدي لكتاب الإبانة

---

[1] www.habous.gov.ma موقع : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب.
[2] مجلة الإبانة، العدد الأول، رجب 1434ه/يونيو 2013م.

قصد ترسيمه في البلاد، وذكر أنه يجب النظر إلى فكر أبي الحسن الأشعري في إطاره المقاصدي، وهذا مجرد هروب من واقع فكر "كتاب الإبانة" الذي هو في حقيقته كتاب تجسيم وتشبيه وتكفير ودعوة لسفك الدماء والتفرقة بين المسلمين، يقول خالد زهري: "إن ما يُثار حول كتاب الإبانة من شكوك، يجعل اعتماده مقرَّرا في مادة العقيدة في جامعاتنا يحتاج إلى إعادة النظر، كما يوجب تنبيه الدعاة والوُعاظ الذين يهتفون بعقائد هذا الكتاب من على المنابر وكراسي الوعظ والإرشاد إلى العدول عنه، لأنه يفضي إلى أربع مفاسد على الأقل:

1- أنه لا يعبّر عن المذهب الحقيقي لأبي الحسن الأشعري، ويقدم أفكارا خاطئة عن الرجل.

2- أنه يختلف في كثير من العقائد المبثوثة فيه مع أصول عقيدتنا الأشعرية التي تعتَبَر المكوِّن الأساس في حضارة الغرب الإسلامي منذ قرون.

3- أنه يؤدي إلى غرس فكر إقصائي يتناقض مع الفكر الوَسَط والمعتدل لدى أتباع المذهب الأشعري.

4- أنه قد يكون قناة لتمرير فكر، لا يمكن أن يرحِّب به أيُّ مغربي أصيل لا يبتغي دون أشعريته بدلا."[1]

---

[1] مجلة الإبانة، العدد الأول، رجب 1434ه/يونيو 2013م.

وجوب تجديد علم الكلام الأشعري

الاجتهاد الكلامي الأشعري أصبح ضرورة ملحة في العصر الراهن، "ويرمي الاجتهاد الكلامي إلى دراسة التراث بموضوعية وأمانة، والتحرر من التحيزات الطائفية والقبليات المذهبية في البحث، تلك التحيزات التي تعمل على اقتطاع النص من سياقه، وتجريده من قرائنه، ثم تتأسف في تأويله، بهدف التدليل على أية وجهة نظر تتبناها"[1] وفي ضوء هذا الإصلاح الذي تقوم به وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ومعها المراكز والمؤسسات والجامعات بالمغرب، أدعو إلى تطوير المنهج العقدي الأشعري، الذي ما عاد يحقق الغرض الفكري والمعرفي للمغاربة اليوم.

إن تطوير المنهج العقدي الأشعري يحتاج إلى تطوير الآليات والمضامين، فبغير ذلك لا يمكن تطوير المذهب الأشعري، فالآليات أصبحت متقادمة والمضامين متجاوزة، وبذلك لا يمكن للمذهب أن يساير الأفكار الموجودة اليوم في الساحة، ولا يستطيع الصمود أمامها، وكل مرة يثبت المذهب الأشعري فشله في التصدي للأفكار والمعتقدات الوافدة من الثقافات الأخرى الشرقية والغربية.

الأشاعرة في المغرب وخاصة في مركز أبي الحسن الأشعري، وكلية أصول الدين، ما زالوا يشتغلون بمناهج القرون الوسطى، ويجترون أسئلة وإجابات عقدية وفلسفية هي في الأصل كانت ردا على أسئلة أنتجتها ثقافات ومعتقدات ذلك العصر، ولست أدري لمن هذه الأسئلة والأجوبة اليوم، في ظل شيوع أسئلة عقدية

---

[1] عبد الجبار الرفاعي، الاجتهاد الكلامي مناهج ورؤى متنوعة في الكلام الجديد، مقدمة المحرر، دار الهادي، دون ذكر الطبعة وسنة الطبع، ص:14.

وفلسفية وعلمية حديثة، وإثارة شبهات كثيرة في المجتمع، لا يفقه علماء الكلام المعاصرون شيئا من ذلك كله بسبب تقادم ثقافتهم الكلامية.

نحن اليوم نعيش في فضاء مفتوح مع وفرة وسائل الاتصال، وانفجار المعلومات، وبروز أسئلة كبرى في الساحة، من قِبل الباحثين الحائرين الذين يبحثون في الأديان والمذاهب، ويسألون عن الوجود وعن الحياة والموت، وعن الطبيعة وما وراءها، وقد ظهرت على الساحة مذاهب فلسفية وعلمية ما كانت موجودة في السابق، ولها مناهجها وآلياتها ومضامينها التي تروج لها بين الناس في ساحة الفكر، وقد كثر معتنقو الأفكار المختلفة والمنحرفة، والآراء الشاذة، وما زال أشاعرة المغرب معتكفين على كتب الزمن القديم، بل ما يزالون يحاولون إخراج أكثرها من الركام؛ وكأن الفكر الإسلامي اليوم في حاجة إلى هذه المآثر التاريخية المتجاوزة.

ونصيحتنا لمسؤولي وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ومركز أبي الحسن الأشعري، وجامعة القرويين، وكلية أصول الدين، أن يقوموا بإصلاحات جذرية للفكر الأشعري، متعلقة بالآليات والمضامين لمواكبة العصر وتحدياته الفكرية والمعرفية، ومما يجب العمل عليه لتطوير المنهج والدرس العقدي الأشعري، في المراكز والمؤسسات والجامعات ذات المسالك الدينية، ما يلي:

1- إضافة مادتي الفزياء والعلوم الطبيعية إلى المقرر التعليمي لدراستهما مع العقيدة وعلم الكلام، فبدونهما لن يقع التجديد في علم الكلام، ولن يحصل الدفاع الممنهج عن العقيدة، فالمذاهب المعاصرة للملحدين والاأدريين والربوبيين والتطوريين وفلاسفة

العلم لا يمكن مواجهتهم ومناظرتهم وإقناعهم إلا إذا كان المناظر متمكنا من ثقافة العلوم الكونية التي يتحاجون بها.

2- الاهتمام بالفلسفة والمنطق الذين بهما تستطيع صياغة النصوص وترتيب الأدلة والحجج وترتيب المفاهيم لإقناع الخصم.

3- البراءة من النصوص الأشعرية المكفرة الموجودة في الكتب والمنطوق بها على الألسن، والتي تكفر المخالفين من المسلمين، الذين ليسو على مذهب الأشاعرة.

4- الدعوة إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية وعمل ندوات ومحاضرات في ذلك؛ فرسالة الإسلام هي الجمع بين المؤمنين لا التفرقة بينهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[الحجرات:10].

5- عدم ادعاء النجاة لأصحاب المذهب الأشعري، وتسمية أنفسهم بــ(الفرقة الناجية)، واعتبار الحق المطلق في المذهب الأشعري، فالناجون بيّن القرآن الكريم أوصافهم ولم يبينها المذهب الأشعري، ولا غيره من المذاهب الإسلامية.

6- عدم احتكار مصطلح (أهل السنة والجماعة) للمذهب الأشعري، وإخراج كل من لم ينتسب للمذهب من دائرة أهل السنة والجماعة.

7- أن يكون الهدف هو الارتقاء بالفكر الإسلامي، وخدمة قضايا الأمة، لا أن يكون الهدف خاصا بخدمة المذهب الأشعري.

بهذه المبادئ يمكن أن يتم الارتقاء بالفكر الأشعري، ويثبتوا للأمم الأخرى أن الأمة الإسلامية موجودة، حيث تستطيع عرض فكرها وإبداء آرائها، والمشاركة بإنتاجاتها في المعرفة العالمية،

وتدعو إليها... حيث "يتوقف الاجتهاد المعاصر في علم الكلام على تمثل روح العصر، والانفتاح على المكاسب الهائلة للعلوم الراهنة، خاصة العلوم الإنسانية، والتخلص من الحساسية والوجل أو العقدة في التعامل مع معطيات العلم الحديث، فإن بعض العلوم الإنسانية تطورت بدرجة توازي تطور العلوم الطبيعية والعلوم البحتة في الغرب، وهي ذات وشيجة عضوية بمناهج علم الكلام ومسائله ولغته ومنظومته المعرفية بأسرها، مثلما نلاحظ ذلك في فلسفة العلم، والهرمنيوطيقا، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والانثربولوجيا، وغيرها"[1] هذا ما يفرضه الواقع الفكري العالمي على هذه الأمة، "وهذا هو السبيل لبعث الاجتهاد الكلامي من جديد، وصياغة فهم لرؤية كونية توحيدية تواكب العصر ورهاناته"[2] ومن غير هذا فمجرد تهويش لا يزيد الأمة إلا تخلفا.

---

[1] عبد الجبار الرفاعي، الاجتهاد الكلامي مناهج ورؤى متنوعة في الكلام الجديد، مقدمة المحرر، دار الهادي، دون ذكر الطبعة وسنة الطبع، ص:14-15.

[2] المصدر نفسه، ص: 16.

خاتمة

ختاما أقول: لست في هذا البحث أقرر عقيدة الأشاعرة ولا غيرها، وإنما غرضي هنا هو التنبيه على خطورة فكر "كتاب الإبانة" على الاعتقاد الإسلامي المغربي، وأنه إذا كان ولا بد من العقيدة الأشعرية باعتبارها ثابتا من ثوابت المغاربة كما يقال، فعلى منهج "كتاب اللمع" الذي يعتبر منهجا نقليا وعقليا، وهو أقرب إلى روح القرآن والسنة النبوية الصحيحة من "كتاب الإبانة" الذي لا نعرف حقيقة نسبته إلى أبي الحسن الأشعري؛ غير أننا نعرف عنه أنه كتاب يحمل فكرا متطرفا ومنغلقا ويشكل خطرا على عقيدة المغاربة.

وأن منهجية "اللمع" هي التي سمحت لعلماء الأشاعرة بتطوير المذهب عبر التاريخ بخلاف منهجية "الإبانة" التي تجمد على ظواهر النصوص وأقوال السلف مما يوجب عدم تطوير الفكر الأشعري لمسايرة العصر والعلوم الحديثة، وحديثي عن ضرورة التزام منهجية "اللمع" إنما يصب في اتجاه هذا الغرض.

والله ولي التوفيق

المصادر والمراجع

- أعز ما يطلب، محمد بن تومرت، تحقيق: عمار طالبي، وزارة الثقافة الجزائرية-الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007.

- الأسماء والصفات للبيهقي، نقلا عن مقدمة محقق كتاب دفع شبه التشبيه لابن الجوزي.

- الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري، تحقيق فوقية حسين محمود، ط:1، س ط: 1977.

- الإرشاد، الجويني، تحقيق: محمد يويف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، س ط:1369ه/1950م.

- الاجتهاد الكلامي مناهج ورؤى متنوعة في الكلام الجديد، عبد الجبار الرفاعي، دار الهادي، دون ذكر الطبعة وسنة الطبع.

- دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، لابن الجوزي، تحقيق حسن السقاف، دار الإمام الرواس، بيروت-لبنان، ط:4، س ط:1428هـ/2007م.

- السلفية بين الأصيل والدخيل، أحمد محمد كريمة، دار الكتاب الصوفي، القاهرة، ط:1، س ط:1433هـ/2012م.

- السلفية الوهابية أفكارها الأساسية وجذورها التاريخية، حسن السقاف، دار الميزان، بيروت-لبنان، ط:3، س ط:1430هـ/2009م.

- كتاب الأشعرية في المغرب، إبراهيم التهامي، دار قرطبة، ط:1، س:1427ه/2006م.

- كتاب الصلة لابن بشكوال، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري-القاهرة، دار الكتاب اللبناني-بيروت، ط:1، س ط:1410هـ/1989م.

- اللمع لأبي الحسن الأشعري، تحقيق حمودة غرابة، مطبعة مصير، س ط:1955.

- لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، القاهرة.

- لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول، أبو الحجاج يوسف المكلاتي، تحقيق: فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، ط:1، س ط:1977.

- مذاهب الإسلاميين، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، 1997.

- مقدمة ابن خلدون، دار الفكر، بيروت –لبنان، س ط:1428هـ/2007م.

- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، س ط: 1411ه/1990م.

- مذاهب الإسلاميين، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، 1997.

- مختصر الدر الثمين والمورد المعين، ميارة، دار الفكر، ط:1، 1429هـ/2008م.

- مقدمات المراشد، ابن خمير السبتي، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح- توفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، ط:1، س ط:1429هـ/2008م.

- المهدي بن تومرت، عبد المجيد النجار، ط:1، س ط:1403هـ/1983م.

- المعجب المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المراكشي، تحقيق محمد سعيد العريان، ط: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1963.

- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المراكشي، تحقيق محمد ساعد العريان، ومحمد العربي العلمي، ط:7، دار الكتاب البيضاء، س ط:1978.

- نقد كتاب العلو للذهبي، حسن السقاف، دار الإمام الرواس، بيروت- لبنان، ط:3، س ط:1428ه/2007م.

- السيف الصقيل، الكوثري الطبعة الأولى.

- عثمان السلالجي ومذهبيته الأشعرية، جمال البختي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط:1، س ط: 2005.

- عقيدة أبي بكر المرادي الحضرمي، جمال البختي، دار الأمان للنشر والتوزيع، س ط:1433هـ/2012م.

- عقد الزبرجد النضيد شرح جوهرة التوحيد، حسن السقاف، دار الإمام النووي، بيروت، ط:1، س ط:1434هـ/2013م.

- العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية للسلاجي، شرح العقباني، تحقيق: نزار حمادي، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط:1، س ط:1429هـ/2008م.

- العقيدة البرهانية للسلالجي، تحقيق نزار حمادي، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط:1، س ط:1429هـ/2008م.

- فصول في الفكر الإسلامي، دار المسار الإسلامي، بيروت، ط:1، 1992م.

[1] صحيح شرح الطحاوية، حسن السقاف، دار الإمام الرواس، بيروت-لبنان، ط:4، س ط:1428هـ/2007م.

- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، دار الحديث القاهرة، س ط: 1429ه/2008م.

- رسالة إلى أهل الثغر، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: عبد الله شاكر الجنيدي، ط: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1988.

- شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، مكتبة وهبة، ط:3، س ط:1416هـ/1996م.

- شرح مرشدة محمد ابن تومرت، تحقيق يوسف احنانا، دار الغرب الإسلامي، ط:1، س ط:1993.

- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، المطبعة السلفية-القاهرة، 1349هـ.

- تفسير عبد الله بن عباس، مؤسسة الكتب الثقافية، ط:1، س ط:1411هـ/1991م.

- تفسير ابن كثير، مكتبة النور العلمية، بيروت، س ط:1416هـ/1995م.

- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري، ابن عساكر الدمشقي، تحقيق محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، ط:1.

- ترتيب المدارك، تحقيق: محمد بنشريفة، مطبعة فضالة، المحمدية، ط:2، س ط:1982.

- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري، ابن عساكر الدمشقي، تحقيق محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، ط:1.

- تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، يوسف احنانا، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2003.

- تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، 1421هـ/2000م.

- تاريخ ابن خلدون، ج:6، ص:303. روض القرطاس لابن أبي زرع، دار المنصور للطباعة والوراقة-الرباط، 1972.

- تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، عبد المجيد النجار، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط:2، س ط:1415هـ/1995م.

- التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، ط:2، س:1997.

- التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد لأبي الحجاج يوسف الضرير، تحقيق: سمير قوبيع-محمد العمراني-نور الدينشعيبي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المملكة المغربية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط:1، 1435هـ/2014م.

- ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة، عبد الله كنون، مركز التراث الثقافي المغربي، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط:1، س ط: 2010.

- الغنية في الكلام، أبو القاسم سلمان بن ناصر الأنصاري النيسابوري، تحقيق مصطفى حسنين عبد الهادي، دار السلام، القاهرة، 1431ه/2010م.

- الغنية للقاضي عياض، تحقيق: ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط:1، س ط:1402هـ/1982م.

- مجلة الإبانة، العدد الأول، رجب 1434ه/يونيو 2013م.

- مجلة الأمن والحياة، الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، 1418 هـ.

- www.habous.gov.maموقع: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب.

بريس تطوان،www.presstetouan.com .

- www.habous.gov.ma موقع: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب.

E-KUTUB
Publisher of publishers
Amazon & Google Books Partner
No 1 in the Arab world
Registered with Companies House in England
under Number: 07513024
Email: ekutub.info@gmail.com
Website: www.e-kutub.com
Germany Office: In der Gass 10,
55758 Niederwörresbach,
Rhineland-Pfalz
UK Registered Office:
28 Lings Coppice,
London, SE21 8SY

The Moroccan Ash'ari thought between the books "Al-Ebana" and "Al-Lumaa"

By:

Mohammed Hmimed

يضع هذا الكتاب اليد على واحدة من أخطر القضايا في الترويج للفكر المتطرف. فبينما تتجه المؤسسات والمراكز الإسلامية نحو مكافحته، فان هناك من يفعل العكس تماما، بل ينشر من الاعتقادات ما لم يثبت له أساس أو مبرر. وإذا شئت أكثر من ذلك، فتحت غطاء مؤسسي أيضا.

ولئن كان الفكر الأشعري في المغرب راسخا ومتداولا، فان له وجهين على أي حال، يتجه كل منها في اتجاه مختلف.

يقول المؤلف: "الأشاعرة في المغرب وخاصة في مركز أبي الحسن الأشعري، وكلية أصول الدين، ما زالوا يشتغلون بمناهج القرون الوسطى، ويجترون أسئلة وإجابات عقدية وفلسفية هي في الأصل كانت ردا على أسئلة أنتجتها ثقافات ومعتقدات ذلك العصر، ولست أدري لمن هذه الأسئلة والأجوبة اليوم، في ظل شيوع أسئلة عقدية وفلسفية وعلمية حديثة، وإثارة شبهات كثيرة في المجتمع، لا يفقه علماء الكلام المعاصرون شيئا منها بسبب تقادم ثقافتهم الكلامية".

